الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

المفاهيم اللغوية في تفسير الشيخ الشعراوي

[١]

(مقدمة التفسير في تفسير الفاتحة)

الناشر/ المؤلف

[٠١٢٢٧٢٠٢٢٨]

Abu_elkher@yahoo.com

طبع بمطابع الأصدقاء بمدينة المنصورة المصرية

١٤٤٤هـ -٢٠٢٣م

التقدمة

تمكنا بأمر من الله ربنا من الفراغ من كتابنا:

(الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي)

بدءًا من تفسير سورة الفاتحة ومقدمات الشيخ لتفسيره ـ أي لخواطره- إذ هو مصر على تسمية تفسيره ووسمه بأنه خواطر، لا تفسير، وللشيخ الجليل ما يرى في وسم عمله.

وقد انتهينا ـفي عملنا السابق- بعد الفاتحة إلى مفتتحات تفسير سورة البقرة، أطول سورة في القرآن الكريم، هذه السورة المدنية التي هي أول سورة في ترتيب المصحف، ليس ترتيب النزول، فهذان ترتيبان مختلفان مختلفان، ثم انتهى عملنا إلى تحليل معمق مفصل للحروف المقطعة أوائل السورة، أو أوائل السور التي افتتحت بهذه الحروف المقطعة: (**ألم- ألر- كهيعص- يس- ق- ن** ...) إلخ وهكذا.

وقد كنا -نويت- إلى إلحاق هذا المسرد بكتابنا السابق لكنا ملنا إلى إفراده بكتاب مستقل، فقد رأيته أكبر من أن يكون ملحقًا بكتاب سابق، بل أردنا كتابًا لاحقًا للكتاب الأول مع وجوب الإشارة للفرق بين المعجم والمسرد والمكنز، كما يلي:

أولا: المسرد، وهو مفرد مسارد: وهو في اللغة الإنجليزية: Golssary/ Glossaries مثل (مسرد الألفاظ اليهودية) الذي نشر باللغة الإنجليزية تحت عنوان:

Jeuish Virtual Library Glossary

سبعون صفحة من القطع الكبير يشرح الألفاظ التي يستخدمها –أو استخدمها- اليهود في اللغة الإنجليزية، هذه الألفاظ ولعلها من أصل عبري، أو أعطيت معنى غير إنجليزي في الأصل، مثل؟ مثل:

Yishuv = old Yishuv + New Yishuv

هذه الكلمة عبرانية، لا إنجليزية ولا عربية، وإن كان اليهود يكتبونها بالحرف العربي يشو، أو غيره، هذه الكلمة يشوف معناها الاستيطان، الاستيطان القديم، أي المهاجرون اليهود إلى فلسطين قل عام ١٨٨٠م أما الاستيطان الجديد فقد كان بعيد ذياك العام ١٨٨٠م بعد ظهور المشروع الصهيوني في فلسطين.

ومثل:

Ulpanim

Ulpanit

وهو ما يعني تعليم العبرية لليهود المهاجرين إلى فلسطين وكلتا الكلمتين عبرية، إلا أنها تكتب بالحرف العربي أو الحرف الإنجليزي، أو غيرهما.

هذا كان دأب اليهود في أي بلد فيه يقيمون أو يسكنون، ألفاظ عبرية بحرف عبري، أو بحرف المنطقة التي فيها يعيشون، وقد يكتبون المحلى -مثلًا- بحرف عبري، ولذا قال نبي الرحمة لزيد بن ثابت: «تعليم لي كتاب يهود» أي: كتابتهم العبرانية، ليس اللسان العبري، ولذا تعلم زيد هذه الكتابة في شهر واحد.

هذا المنحى قد ظهر بشكل واضح فيما يسمى بوثائق (**الجنيزا**) الذي اكتشف في معبد البساتين بقاهرة المعز لدين الله الفاطمي.

وقد سعدت بصور لبعض هاتيك الوثائق:

- فمنها وثائق عربية بحرف عربي.
- ومنها عبرية بحرف عبراني.
- ومنها عبرية بحرف عربي.

وقد حكى المستشرق الأكراني ألكسي خمراوي -الذي ترجم بعض سور القرآن القصيرة إلى اللغة الأكرانية- في لقاء معه في معهد الشرق والغرب (جامعة كييف الأكرانية) عندما كنت خبيرًا في ذياك المعهد عام ١٩٩٩/١٩٩٨ أن المخطوطات اليهودية في المتحف اليهودي –في أكرانيا- لها نفس طابع وثائق الجنيزا المصرية ففيها وثائق باللغة الأكرانية

ـأو الروسية- بحرف روسي، وأخرى روسية بحرف عبري، أو عبرية بحرف عبري ... إلى آخره.

ومن المسارد أيضا:

- مسرد الكلمات القانونية ومعانيها.

- مسرد الرموز.

- مسرد صندوق النقد الدولي.

بقي في الجعبة أمران حول المسرد والمسارد:

١- بماذا فسرت المعاجم الإنجليزية كلمة Glossary هذه ترجمة لأحد هذه المعاجم المؤنجلة:

قائمة بكلمات خاصة مع شرح معانيها في نهاية كتاب(١).

٢- ولا نجد خاتمة لدينا عن المسرد والمسارد إلا الإشارة إلى تيك الأمثلة التي جاء بها الدكتور البعلبكي في معجمه، فقد ذكر فيه مسارد للعلوم اللغوية المختلفة، مثل:

---

(١) وانظر إلى العنوان: (معجم المصطلحات اللغوية، إنجليزي عربي مع ١٦ مسردا عربيا لاحظ هذه العبارة الأخيرة ١٦ مسردا عربيا.

Long man Active Study Dictionary p260.

- مسرد مصطلحات علم الأصوات (ص ٧٢٥).

- مسرد مصطلحات علم النحو (ص ٧٣٧).

- مسرد مصطلحات علم الدلالة (ص ٧٧٠).

- مسرد مصطلحات علم اللغة التطبيقي (ص ٧٢٣).

- مسرد مصطلحات علم اللغة الاجتماعي (ص ٧٥٩).

- مسرد مصطلحات علم اللغة النفسي (ص ٧٦٣) إلخ، فليرجع إليها القارئ إذا شاء(١).

ثانيًا- المكنز والمكانز: بعد حديثنا عن المسرد والمسارد ننفلت إلى المكنز فنبدأ مما منه انتهينا مع معجم ذياك البعلبكي، لنقتبس منه ما يلي(٢):

(كَنْز- أو مخزن- وليس مكنز، معجم موضوعي) أي: على الموضوعات، لا على الجذور، أي الألف باء(٣).

---

(١) راجع ص ٥٤٧-٧٧٩.

(٢) ص (٥٠٣).

(٣) راجع محاضرة المكنز للدكتور ميسون عبد الكريم صالح، المحاضرة الحادية عشرة.

إن المكنز هو في معناه الحرفي (**مستودع أو خزانة المعرفة**) وهو بالإنجليزية:

Thesauri pl. Thesaurus

فضلًا عما سبق فإنه بالمثال يتضح ويظهر التعريف المقال:

- المكنز الكبير (**معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات**) للدكتور أحمد مختار عمر، القاهرة ٢٠٠٠.

- المكنز العربي لعلوم اللغات ١٩٨٨م.

وهذا (تعريف أحد المعاجم المؤنجلة لكليمة المكنز مقتبس من معجم لونجمان:

كتاب أو معجم قوائم من الكلمات إلا أنها موضوعة- مرتبة- حسب معانيها).

ثالثًا: المعجم والمعاجم: ولا أظن أن أحدًا بحاجة إلى المعجم فهو أعرف من أن يعرف أو يعرف.

لكن الذي بحاجة إلى توضيح (**المفاهيم اللغوية**) أي: مفهوم ومفاهيم، وهو ما نتحدث عنه الآن:

إن المفهوم هنا –مفرد مفاهيم- هو تعريف معنى الكلمة – أو المفهوم- أي: معنى الكلمة، مبتعدين عن مما درج عليه بعض الطلاب من التعريف لغة –ثم اصطلاحًا، وإنما نحدد المفهوم -والمفاهم- بشكل مباشر، ولكن لا يمتد الكلام إلى دائرة أوسع نعتا المفهوم باللغوي أو المفاهيم اللغوية، نقصد التعريفات التي قدمها العلامة الشعراوي في تفسيره، بدءًا من الفاتحة إلى آخر تفسيره القيم المعمق: هذه المفاهيم مقسمة ألف بائيًّا، من الألف إلى فلنسر على بركة من الله، وعلى جناح من التوفيق.

المؤلف: الأستاذ الدكتور:

أحمد مصطفى أبو الخير

٢٠٢٣/٣/٩م

كلمتان خفيفتان قبيل المسرد:

هاتان الكليمتان الخفيفتان قبيل المسارد، وقبل المفاهيم هما:

أولًا: إن ترتيب المفاهيم جاء على الجذر، وليس على واقع الكلمة المفهوم (**الجذع**) ففي:

(هبات- صفائية- الحقائق الكونية) هن يأتين تحت المواد:

- **(هـ ب ب)** وليس: **(هبات)**.
- **(ص ف و)** وليس: **(صفائية)**.
- **(ح ق ق)** وليس: **(الحقائق)**.
- **(ك و ن)** وليس: **(الكونية)** وهكذا.

ثانيًا: وثاني ما نقول: إنَّ المقصود من هذه التعريفات، والمفاهيم، هي متكئة معتمدة متكئة على كلام الشيخ وفهمه وتوضيحاته، لكنا ربما نضيف إلى ما قال الشيخ قليلًا كان ما يضاف أو كثيرًا، وهو ما يشار إليه في موضعه بوضوح شديد، صريح وصراح.

والمفاهيم التي قدمها الشيخ هي جزء من المعجم التاريخي العربية بني يعرب، صحيح أن الشيخ اتكأ على التراث والمعجم

العربي، ولكن ما قدمه هو ما ارتآه وتقبله وارتضاه -من سبعينات القرن الماضي مثلًا- إلى التسعينات، وقد وجب التنبيه على ما سبق، والآن مع المفاهيم بدءًا من الألف إلى الياء، وإن في حدود تفسير سورة الفاتحة، وقبله مقدمة التفسيرومن ناحية أخرى فإن هذا ما يدخل في صميم الصناعة المعجمية العربية من أوسع أبوابها حيث الاتكاء على واقع اللغة نفسها وفي الجانب المنطوق، دون تكرار ما جاء في المعاجم العربية، وأن ينسخ اللاحق من معاجم العربية ما كرره وقرره سابقوه، وهذا ملمح مهم في عملنا في سرد المفاهيم الشعراوية من خلال تفسير مولانا الشيخ للنص القرآني.

حرف الألف

مادة:

(أ م ر)

في كتابنا حول الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي[١] ... شرح الشيخ –رحمه الله- في ثنايا تفسير سورة الفاتحة الحديث الشهير: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر**».

الأمر ذو البال:

أي الأمر الذي عليه الإنسان يفكر وفيه، فالبال هو الفكر لا بد أن يبدأ وأن يسبق بسم الله، أما ما يأتي بغير فكر تهجم عليك هجومًا، مثل بعض الخواطر هنا وهناك، فإن الله لا يكلفك بالبسملة، الله يغفر لك هنا، لأنك لم تشغل فكرك مطلقًا بذياك الشيء أو الأمر، لماذا؟

لأن الإنسان في كل شيء له ثلاث نِسب:

- **الأولى**: نسبة ذهنية.

- **الثانية**: نسبة كلامية.

- **الثالثة**: نسبة خارجية، أو (**فعلية**) تنفيذية.

فإذا أحسست بالعطش، ورغبة في الماء، هذه نسبة ذهنية، فإن قلت: أزيد الماء، فهذه نسبة كلامية (**كلام**) في المرحلة

---

(١) من القاهرة طبع نهاية عام ٢٠٢٢م، راجع ص ٥٥، ٥٦.

الكلامية، فإن جاءك الماء لتشرب فهذه نسبة خارجية فعلية. أي إن معنى كل أمر ذي بال، بمعنى: أن يمر في الذهن أولًا، فلا بد قبله من البسملة، فإن الأمر نسبة كلامية أو خارجية، دون مساس بالذهن، فهذا غير ذي بال، فإذا حدث للمصباح شيء مفاجئ، فقلت: عفوًا دون تفكير، (يا ستار، يا رب ...) فهذا غير ذي بال ولا إعمال فكر -ذهن- ولا تفكير.

وهكذا يأمر الله بأن لا نبدأ القرآن الكريم إلا ببسم الله، ويعلمنا سيد الخلق أن لا نبدأ أي عمل مهم إلا بسم الله، وإلا كان العمل أبتر، لا ثواب له من الله.

حرف الباء

مادة:

(ب د و)

(ب د أ)

حدد الشيخ مفهوم يبديها -يظهرها- ولا يبتدئها، أي: لا يبدأ بها، بخلقها، كما يلي:

- يبديها ولا يبتديها: لمحة عجيبة عبقرية من عبقريات الشيخ -عليه من الله نسمات ورحمات- كيف كان هذا؟ كان يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] انظر: إن الله يقول له، له؟! كيف يقول له قبل أن يكون، قبل أن يكون هذا الشيء؟ لأن هذا المأمور موجود عند الله خالقه، أمامه، إنما هو فقط يخرج ذياك الشيء ويظهره للناس وللمخاليق الأخر.

أصل الحكاية كما جاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، قال الحسين بن الفضل -أحد مفسري القرآن في القرن الثالث ت ٢٨٣هـ- حين سأله عبد الله بن طاهر[١] عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] كيف وقد صح أنَّ القلم جفَّ، وأنَّ الصحف طويت، بعد أن كتب القلم ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة، قال المفسر العبقري الحسين بن الفضل: شئون (**أمور**) يبديها، ولا يبتديها) يبديها:

(١) كان واليا على خراسان من قبل المأمون، ت ٢٣٠هـ. راجع كتابنا: (الجوانب اللغوية ...) في ٧٤-٧٥.

أي يظهرها، لا شئون يبتديها أو يقدرها ولا يبتدي خلقها، أي لأن التقدير سبق في علمه.

وبعبارة أخرى تنعاد **(تعاد)** وتتكرر، هذه لمحة عبقرية من لمحات الشيخ –رحمه الله- أن يقول القرآن: **{كن فيكون}** كيف يخاطب الله شيئا غير موجود؟ بل قبل أن يوجد؟ إن الشيخ يفسر هذا بأن الله ما خلق هذا الشيء بداية، أي ما ابتداها -ابتدأها- وإنما هو أظهرها للمخاليق، فقط فقط، ولذا كان استشهاد المشيخة –رحمه الله- بكلام أو عبارة العلامة المفسر القدير الحسين بن الفضل بهذه العبارة **(يظهرها)** ولا يبتديها، أي يبدؤها بالخلق، أو: لا يبدأ خلقها.

مادة:

(ب س م ل)

يبدو الشيخ الجليل –رحمه الله- شديد الشغف بتحديد المفاهيم، وتعريف كل مصطلح له يتعرض، وما يقوله في جله، أو كثير منه من ثروته الحافظة الحادة الحديدية مزدانة بملامح من عندياته مبدعة رائعة ورائقة شائقة وشيقة، وفي كليهما جزء لا يتجاهل من المعجم الفصيح، وها هو يبدع ويعلق في الحديث عن مفهوم:

- **البسملة**: بدأ قرآن ربي بالبسملة، ومن هنا لا يبدأ في القراءة إلا بها أيضا، وذلك استدعاء للحوار الأول بين جبرائيل وبين سيد الأولين وسيد الآخرين من إنس أو جان، وذلك في غار حراء:

- جبرائيل: اقرأ

- ما أنا بقارئ.

إنَّ سيد الخلق لا يرفض القراءة عصيانًا لطاووس الملائكة، إنما أنه لا يعرف القراءة ولا يسطيعها.

يكمل أمين الوحي ورسول الحق من كلام الحق وقرآنه:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ[1] رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥] يتساءل الشيخ لم كان ذياك الحوار بين جبرائيل وبين أمين الوحي؟ وأمين الوحي يعرف أن مخاطبه أمي لا يقرأ، ولا يكتب، يجيب فضيلته:

كان هذا حتى يتيقن أن هذا القرآن من عند الله، ليس من عنديات محمد، كما روج بعض المروجين ظلمًا وزورًا، افتراء على الله ورسوله.

ويضيف المشيخة: إن الله أكرمنا، فهو كريم كريم، تكرم علينا بتعلم القراءة من غيرنا، لكن كان أكرم مع رسوله ومصطفاه إذ من عليه بالقراءة من غير تعليم من البشر، فقد كان ذياك التعليم من رب البشر الذي قال: {اقرأ وربك الأكرم} الذي أقرأك بفضله وباسمه، فرق بين كريم وأكرم، أي شديد الكرم = الفرق بين الصفة المشبهة باسم الفاعل، وبين اسم التفضيل.

---

(١) تحذف الألف من بدء (اسم) إن جاء بعده لفظ الجلالة (الله نقول: بسم الله) لكثرة الاستخدام، ولذا لا تحذف من (باسم الرحمن، باسم ربك، باسم مالك الملك) أو حتى: (باسم الوطن، باسم القانون ...) فقط: (بسم الله) فقط؟ فقط.

إن قولك: (**بسم الله**) معناه شيئان:

الأول: أن الله ذلل هذه المخلوقات والحيوان، ولولا تذليلها لك لما أطاعتك تيك المخلوقات، صحيح أن في الكون نواميس وأسباب، هو قائم عليها، بيد أن خالق الكون بأسبابه ونواميسه يمكن أن يبطل كل هاتيك الأشياء وضرب الشيخ عديدًا من أمثلة منها:

نحن نستطيع أن نذلل أضخم الحيوان، ولو كان المذلل صغيرا في جسمه أو في سنه فإنك تراه يذلل ويخضع الجمل الضخم أو الفيل شديد الضخامة، لكن ليس بقدرة ذياك الطفل أو تفوقه، ولكن بتذليل رب هذه المخلوقات، والبسملة -يا عبد الله- هي إقرار من المخاليق بأن التذليل جاء باسم خالق المخاليق، وبإذنه وقدرته وإرادته.

ومن الناحية الأخرى فإن هذه المخاليق الصغيرة جدا ما يسطيع المخاليق تذليلها مثل الحية الصغيرة أو العقرب الأصفر، وحتى البعوضة وما هو أصغر منها من المخلوقات غير المذللة -يا عبد الله- فالتذليل وغيابه صفة من عند رب المخاليق، قال تعالى في سورة يس آية ٧٢: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

وثاني ما تعنيه البسملة: أن الأسباب تذلل للمؤمن وللكافر على السواء، ولهما تخضع وتذلل، إلا أن البسملة عند المؤمنين إعلان من العبد إلى أنه ما فعل ما فعله إلا لأن الله أباح ذياك الفعل، أو به أمر، وله ذلك، ومن هنا كان له من ذياك الفعل ثواب وأجر يوم الدين فقد قال القرآن نفسه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ فاتحة سبأ.

هذا المؤمن الذي يستعين باسم ربه له جزاء أوفى في الآخرة، على عمله هذا فضلا وإضافة إلى ما يكون له من فوائد في الدنيا.

وتذكر عزيزي القارئ أن البسملة لا تأتي في بدء القرآن فقط، بل أيضا عند كل أمر ذي بال وخطر، وإلا كان ذياك العمل ناقصا مبتورا أبتر.

لكن قارئًا يسأل: هذه البسملة أهي: آية من السورة –أية سورة- أم من القرآن؟

اختلف العلماء، واختلف الأئمة، والراجح عند الشيخ –رحمه الله- أنها آية من القرآن، جاءت لافتتاح سورة (**الفاتحة**) وكذا الفصل بين سور القرآن، وإن صح الإسرار بها بدء آية سورة، إلا أن البسملة في وسط سورة النمل هي آية من

السورة، فضلا عن أنها من سورتها جزء من القرآن الكريم، ومن هنا فلا يصح عدم ذكرها –أي البسملة- بدء آية سورة سيما الفاتحة، وإن كان شيخنا يوافق على عدم الجهر بالبسملة، لكنْ قراءتها سرًّا أو جهرًا.

باب الحاء
مادة:
(ح ر ف)

حروف المبنى والمعنى:

فرق الشيخ بين حروف المباني وحروف المعاني في حديث شيق شائق يفتتحه بقوله: جاء في أولها -البقرة- {الم} = ثلاثة حروف، هذه السورة ليست الوحيدة التي بدأت بمثل هذا، بل آل عمران بعدها بدأت نفس البداية: **{الم}** ثم سور بدأت ب **{المص- الر- المر- كهيعص _ طه _ يس _ ن _ حم _ عسق- طسم}** أكثر من سورة بدأت بهاتيك الحروف.

فإن سألك أحد: ما معنى هذه الحروف؟ ترد: هذا السؤال غلط، لماذا؟ لأن الحرف لا يسأل عن معناه، وإلا فقل لي: ما معنى حرف m وما معنى h؟ الحرف بذاته لا يسأل عن معناه، إلا إن كان حرف معنى، هناك حروف مبنى وحروف معنى، حرف المبنى منه تتكون الكليمات **(كتب)** كليمة مكونة من الكاف ومن التاء، ومن الباء، الكليمة مكونة من هذه الحروف الثلاثة، لكن الكاف في ذاتها ليس لها معنى، إلا أنها جزء من الكليمة، وكذا التاء والباء.

ولكن الكاف في مثل: محمد كالقمر، دلت على التشبيه؛ إذ هو حرف معنى وليس مبنى، وفي: كتبت بالقلم الباء للاستعانة؛ إلا أن الباء في: كتب جزء من مبنى الكلمة وصياغتها، وفي مثل: الأمر لله اللام للملك، ليس حروف مبنى، بل هو حرف معنى.

[ومعنى هذا أن حروف المباني لا دلالة لها إلا على الصوت فقط، أما حروف المعاني فلها دلالتها الاصطلاحية، (**في**) مثلًا تدل على الظرفية (**من**) تدل على الابتداء (**إلى**) تدل على الانتهاء، مثل: (سافرت من القاهرة إلى الإسكندرية)، و: (**على**) تدل على الاستعلاء، هذه كلها حروف معان، لا مبان.

في بدء البقرة: {**الم** ...} هل هي من حروف المباني أم من حروف المعاني؟ هي من حروف المباني، فلا معنى لها، ولكن لماذا بدأ الله هذه السور بهذه الحروف؟

ويجيب الشيخ بأننا عندما كنا نتعلم الكتابة ونكتب ـ مثلًا- كلمة: (**كتب**) كان يقول لنا معلمنا (**تهجها**) أي مم تتكون (**كتب**) من الحروف؟ فتقول: (كاف فتحه -كَ- تاء فتحة ـ تَـ باء فتحة ـ بَ-) هذا هو التهجي.

إذن فالأمي والمتعلم ينطقان اللفظ، إلا أن المتعلم يعرف مم يتكون هذا اللفظ، أو (**هذه الكليمة من مباني الحروف**).

لكن الأمي لا يستطيع ولا يعرف، كلاهما (**العامي والمتعلم**) ينطق الكليمات مع فارق أن المتعلم يعرف مم تتكون اللفظة من حروف، ولا يعرف العامي.

أي يجب أن نعرف بين اسم الحرف ومسمى الحرف (**كتب**) في الكليمة اسمها كاف مفتوحة، ولكن مسماها (**ك**)، وكذا في التاء والباء، أي اسم الحرف لا يعرفه إلا المتعلم فقط.

وعليه فإذا جاء محمد بسورة مستهلة بـ{المر ...} وهو أمي غير متعلم بشهادة الجميع فمن علمه؟ أسماء هذه الحروف، إذن هذا النطق توقيفي، سمعها من جبرائيل، ولذا تنطق نطقًا خاصًا، كيف؟ هي لا تنطق (**ألفٌ** ـ **لامٌ** ـ **ميمٌ**) لكنها تنطق ساكنة الآخر، أي: (**ألفْ - لامْ** ـ **ميمْ**) وما دمت وقفت عليها بعلامة السكون وسمعته إذن فلها معنى، قال سيد الخلق بأن من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة، أردف: لا أقول: (**ألم**) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

ونص الحديث: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، و(لام) حرف، و(ميم) حرف**».

ولكن لماذا جاءت فاتحة البقرة وغيرها بهذا الشكل، وعلى هذا النحو، أي أسماء الحروف، حروف مبان، على شكل هجاء وموقوفة -بدون تنوين ولا إعراب- لماذا؟ لأن هذا من سمات المتعلم وليس الأمي، ومحمد بشهادة الجميع أمي لا يكتب ولا يقرأ، فمن أين لهذا النبي الأمي باسم ذياك الحرف ونطقه، والهجاء بهذي الصورة والنطق؟! إنه دلالة على أنه تلقاه تلقيا

من جبرائيل -عليه السلام- فنطق كما سمع وبه شوفه توقيفا من الله -عز وجل- من طريق الوحي.

إنه ينطقها ساكنة الآخر، بلا تنوين ولا إعراب، فضلا عن أنه يفرق بينها وبين: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾؛ في سورة الشرح مع أن الشكل واحد، لأنه تلقى هذا شفاهة عن رب السماوات والأرضين.

لا فض فوك -عالمنا الجليل- ولا فض الله فاكا ولكن فليسمح لي سماحة الشيخ وليسمح أحباؤه والمريدون لأقول ما يلي:

أولا: إن الرجل جاء من تفسير سورة الفاتحة -الكنز- إلى البدء بتفسير سورة البقرة، وقد فعلنا فعله ونهجنا نهجه ونهجه، ونحونا نحو فأثبتنا ما قيل في مفتتح تفسير سورة البقرة مع نهاية سورة الفاتحة.

ثانيا: الحق يقال بأن ما قال الرجل بخصوص المكي والمدني وبخصوص الحروف المقطعة **(حروف المباني)** في مقابل حروف المعاني لهو حقيق الحق وصحيح الصح من جميع النواحي، لكنا نضيف مؤكدين كلام الشيخ بنص عن البنا الدمياطي في الإتحاف[١]: في فواتح السور: **{الم - الر - المر**

(١) ص ٦٣.

- كهيعص - طه - طسم - طس - يس ـ ص ـق- ن} سكت أبو جعفر المدني.

وسوف نناقش هذا النص مناقشة، لكن لدينا بعيض التفاصيل حول هذه الحروف المقطعة أوائل السور، نعود بعدها إلى تحليل نص الإتحاف، كما يلي:

- عدد الحروف المقطعة أوائل السور= ١٤ حرفًا.

- مواضعها: وقعت في مستهل ٢٩ سورة، هكذا:

- {**الم**}: البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة.

- {**المص**}: الأعراف.

- {**الر**}: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر.

- {**المر**}: الرعد.

- {**كهيعص**}: مريم.

- {**طه**}: سورة طه.

- {**طسم**}: الشعراء، القصص.

- {**طس**}: النمل.

- {**يس**}: سورة يس.

- {**ص**}: في سورة ص.

- {**حم**}: غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

- {**حم، عسق**}: الشورى.

- {**ق**}: سورة ق.

- {**ن**}: القلم.

وبعد أن راجعنا ما سبق على المصحف نساءل، هل هاتيك السور تميل إلى المدنية أو المكية، أو بمعنى آخر أيها مدني وأيها مكي، وما نسبة كل منها إلى الآخر؟.

يتصور الواهل الوهل أن هذه البدايات في هاتيك السور قد جاء في افتتاح السور المدنية، جاءت الأمور عكس ما يتصور الواهلون، قد جاءت في السور المدنية = ٣/٢٩ وثلاث سور فقط كانت مدنية (**البقرة - آل عمران - الرعد**) باقي السور التي افتتحت بحروف المباني (**المقطعة**) = ٢٦/٢٩، ستة وعشرون سورة جاءت مكية، وبقي للمدني فقط= ٣ سورة مدنية فقط، صحيح أولها كانت السورة الأطول في القرآن الكريم (**البقرة**) ثم (**آل عمران**)، فأما (**الرعد**) فقد جاءت متوسطة الطول.

تماما تماما كما أن عدد السور المكية ١٤٤/٨٢، والمدنية فقط ١٤٤/٢٢، ومن هذه الأخيرة البقرة وآل عمران، أطول سورتين في قرآن ربي.

ومما يلحظ على هذه الحروف المقطعة ما يلي:

إنها جميعا من الصوامت + واحد فقط من الأصوات اللينة، هو الياء فقط، ولم نر رفيقتها اللينة (**الواو**) مطلقا مطلقا، جاءت في افتتاح مريم {**كهيعص**}.

أما الصوامت فقد كانت (أ ح ر س ص ط ع ق ك ل م ن هـ) + الصوت اللين (**ي**) إذن هذه الصوامت التي جاءت في الحروف المقطعة= ١٣ حرفا، نصف عدد الصوامت وعددها ٢٦ صامتا، إذن ٢٦/١٣ كانوا من الصوامت، وإذا كانت حروف العربية هي مسميات الصوامت + أصوات اللين، الواو والياء= ٢٨ فإن نصفها فقط جاءت في هذه المقطعة، على اعتبار أننا نستثنى (**لا**) = لام ألف فإن هذه اللام ألف، أو (**لا**) تعني الآن ألف المد، وهي من الحركات، ليس الصوامت البتة.

وإذا كانت القضية الأهم في القرآن الكمي هي العقيدة، فإن افتتاح سور المكي بحروف المباني بنطق اسمها مع توكد أمية محمد الذي ما أتى بهذا من عندياته، بل أوملي من رب العزة من طريق جبرائيل عليه السلام.

وانظر – يا رعاك الله - فيما تلا هذه الحروف المقطعة بشكل مباشر ملاصق، هي إما جاءت أول آية واحدة مستقلة عن باقي آيات السورة، بل بعضها جاء في آيتين ثنتين، باقي السور جاءت حروف المباني جزءا من آية، عددها كما يلي:

١- في آيتين = مرة واحدة، في مفتتح الشورى {**حم**} الآية الأولي {**عسق**} هي الآية الثانية، ثم جاءت بعد ذلك الآية الثالثة من السورة المذكورة.

٢- جاءت الحروف المقطعة في آية واحدة مستقلة عن باقي الآيات = ١٨ مرة، هي في سورة (**البقرة – آل عمران – الأعراف – مريم – طه- الشعراء - القصص – العنكبوت- الروم - لقمان – السجدة – غافر – يس- فصلت -الأحقاف - الجاثية - الزخرف - الدخان**) = ١٨ سورة.

٣- جاءت في غير آية مستقلة، وفي مفتتح الآية الأولى، وهي:

(يونس - هود - يوسف - الرعد- إبراهيم - الحجر – النمل - ص - ق - القلم) = ١٠ سور.

أي إن الأكثرية كانت حروف المباني في آية واحدة مستقلة ٢٩/١٨، بل جاءت سورة -وإن كانت واحدة– جاءت

الحروف في آيتين ثنتين، الآية الأولى، ثم الآية الثانية هي سورة الشورى ١+٨= ٢٩/١٩ واضح أنها النسبة الأكبر، كما ترى، في حين جاءت الحروف جزءا من آية -كما سبق- في عشر فقط ٢٩/١٠، الثلث تقريباً، تقريباً.

إذن جاءت في آية أو في آيتين ١٨ + ١ = ٢٩/١٩ وثلث السور جاءت فيها الحروف المقطعة مستقلة الآية، في آية، وفي آيتين مرة فقط.

فمن يحدد الآية -بدأها ونهوها- من؟! إنه سيدي رسول الله في قراءته أمام صحابته الذين نقلوا هذا إلى التابعين، والتابعون نقلوا هذا إلى تابعي التابعين، جيلا عن جيل عن جيل، حتى وصلنا الآن، خاصة بعد كتابته على عهد عثمان -رضي الله عنه- بإشراف الصحابة وإقرارهم وموافقتهم، وكامل رضاهم.

هذا التقسيم للسور وذياك التوزيع للآيات كان من عند رسول الله خاتم الرسل، سيد العرب والعجم، سيد الإنسان والجان، وبإقرار من رب العزة، بدليل أن الله لم يعاتبه في هذا الأمر، كما حدث عندما جاءه الأعمى، حين عبس، وعنه تولي.

إذن فالمسألة في توزيع الآيات توقيفية، أقره الوحي، ولذا وجدنا حروف المباني المفتتحة للسورة، مرة جاء في آية مستقلة عن باقي الآيات، ومرة في آيتين، مرة واحدة فقط، في

سورة واحدة فقط، هي سورة الشورى، وإن ألحقت بالآية الأولى من ١٠ سور من سور القرآن الكريم.

هل لأن الحروف أكثر في {**حم ـ عسق**}؟ نعم هي خمسة حروف (**حاء ـ ميم- عين ـ سين ـ قاف**) ولكنا نجد في بداية مريم أيضا، خمسة حروف {**كهيعص**} = (**الكاف ـ الهاء ـ الياء ـ العين - الصاد**)، إلا أنها جاءت في مريم في آية واحدة فقط، وليس في آيتين؛ لأن القراءة سنة متبعة لا ابتداع ولا اختراع ولا اقتراح، أي من قبل البشر.

والآن الآن نبدأ في تحليل هذه الحروف في سورها، وما جاء بعد الحروف المقطعة من سياق الآيات هذه، لكنا نمهد لهذا بإعراب هذه الحروف في بدايات السور: كيف تعرب هذه الحروف؟ إنها حروف، ليست حرفا، كما قال سيد الخلق: «لا أقول ألف، لام ، ميم حرف، لكن: ألف حرف، لام حرف، ميم حرف) إذن هي حروف، ليست حرفا واحدا مفردا.

إلا في قليل منها، مثل: {**ص ـ ق- ن**} هي في الغالب مجموعة من الحروف قد تصل إلى خمسة في: (مريم + الشورى) وهي في الغالب من حرفين، مثل: (**حا ـ ميم**) أو من ثلاثة (**ألف - لام - ميم**)، أو: (**ألف ـ لام ـ را**) وهكذا.

لكن ما قصة الإعراب يا يرحمك الله؟ أنا أقول لك يا رحمك الرحيم:

١- إن الكلمة إن كانت اسما معربا مرفوعا، فهو إما خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ خبره محذوف، فإن كان اسما مبنيا كان في محل رفع.

٢- وإن كان منصوبا أو في محل نصب فهو منصوب بفعل محذوف.

٣- وإن كان مجرورا، أو في محل جر، كان ذياك الجر بحرف جر، لكنه محذوف، وهذا ما نجده في إعراب حروف المباني المقطعة في افتتاح السور، كيف؟ هذه إجابتي نقلتها من كتاب **(إعراب القرآن الكريم)** للدكتور محمود ياقوت:

١- هي حروف مباني / مبان **(مقطعة)** مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب، فإن كانت حرفا واحدا {ص – ق- ن} كانت حرفا مبنيا على السكون، لا محل له من الإعراب، وهذا شيء مقبول معقول.

٢- خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: **(هذا – هذه ألم أو الر مثلا مثلا)**.

٣- هي مبتدأ، وما بعدها خبر عنها، مثل: **(الر، تلك آيات الكتاب المبين)**.

٤- هي مفعول به لفعل محذوف تقديره: (اقرأ، مثل: اقرأ حم ...).

٥- في محل جر بحرف جر وقسم محذوف تقديره: (والم .. أو: وق ...) أو (وحق: ن، أو: أقسم بحق – ص ...) وهكذا

والقسَم في مفتتح السور كثير، مثلا مثلا: (لا أقسم بهذا البلد، وأنت حل بهذا البلد ...- والشمس وضحاها- والليل إذا يغشى - والتين والزيتون - والعصر، إن الإنسان لفي خسر) وغيرها وغيرها.

ونحبذ هنا الإعراب الأول، هي حروف مبنية على السكون، لا محل لها من الإعراب، لكن -يا كويتب السطور- هذه حروف لها شأن خاص وشأو عال، ولذا نميل إلى الإعراب الأخير، هي مجرورة بحرف قسم وجر لما لها من عظيم الشأن، والتقدير: (و: حم ... و: ن) أو أقسم بحق: **(حم - أو أقسم بحق: ن)**، وهكذا دواليك.

ولكن -أيها الكويتب- حدثنا عن سياق الآيات بعيد هذه الحروف المقطعة، عندك -يا رحمك رب الأرباب = ٢٩ سورة وقعت فيها هاتيك المقطعة، أو حروف المباني، فهات ما عندك -حبا وكرامة_ وهاك ما عنديا:

١- عندنا فقط ثلاث سور فقط مدنية: هي: (**البقرة - آل عمران ـ الرعد**) والباقيات سورة مكية = ٢٦، أي: ٣ + ٢٦= ٢٩ سورة جاء في مفتحها الحروف المقطعة، أي حروف مبان.

أي إن معظم السور هنا مكية، تيك المرحلة التي كانت تركز على العقيدة تركيزا، وهو يتناسب مع سياقها كما سيأتي، كما جاءت السور الثلاث مدنية، وبرغم أنها ركزت على الأحكام، فإنها لم تنس العقيدة، وإن في ثلاث، هن الأكبر في القرآن الكريم، البقرة وآل عمران، ثم سورة متوسطة هي الرعد = ٤٣ آية، ولأنها آيات مدنية فهي مشمولة بالطابع المدني، طويلة هي آياتها على عكس الآيات المكية القصيرة القصيرة.

٢- فما هي الموضوعات التي عالجتها الآيات بعد الحروف المقطعة أوائل السور؟ إنها كما يلي:

١- كل ما جاء بعيد الحروف المذكورة يتحدث عن القرآن والكتاب والآيات، هي تنزيل من رب العزة، عدا آيات سور أربع، هي:

- في سورة سيدتنا مريم -عليها السلام- قال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ

رَبِّ شَقِيًّا﴾[1] فماذا يطلب نبي الله زكريا من ربه، وما دوافعه، وما هي تخوفاته: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا...﴾[2].

فماذا تطلب يا نبي الله؟ ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[3].

ويستجيب ربنا: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[4].

ويستدرك نبي الله: ﴿...رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[5].

ويبدو أن نبي الله ما كان أو يتصور أن يكون له ولد، لماذا؟ امرأته عاقر، ومن مدة، وهو نفسه قد بلغ من الكبر عتيه:

---

(١) سورة مريم، آية ١-٣.
(٢) سورة مريم، آية ٥.
(٣) سورة مريم، آية ٥-٦.
(٤) سورة مريم، آية ٧.
(٥) سورة مريم آية ٨.

يجيب ربنا: ﴿...قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[1]: فقد كان زكريا: يحتاج **(وليا)** هو بحاجة إلي ولي ناصر أو مولى، أو ابن يتبناه، يخاف الموالي بعد وفاته على زوجته، ويخاف منهم، من أقاربه الذين كانوا يطاردونه ويعيرون زوجه بأنها عاقر.

كل هذا من الأحداث الجسام إنما جاء بها القرآن، هذا الكتاب الذي أنزله الله على رسوله محمد -ﷺ- ومن هنا ناسب أن تبدأها تيك الأحداث بهذه الحروف المقطعة: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾.

- وفي بدء العنكبوت كانت قضية مهمة بالغة هي أن العذاب قد استبد واشتد وطيسه على الصحب ورسولهم، فعن أبي عبد الله، ورسول الحق متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان مَنْ قَبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى

(١) سورة مريم، آية ٩.

حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون[1]. "رواه البخاري"

ولذا كان لابد للقرآن من علاج هذه القضية المهمة والخطيرة، قال الدكتور شوقي ضيف -رحمه الله- في وجيز تفسيره[2]: سميت هذه السورة باسم العنكبوت لضرب المثل بها وببيتها، وأهم موضوعاتها وجوب صبر المؤمنين على أذى المشركين، وما ينتظر المؤمنين من حسن الجزاء.

وعليه فإن هذه السورة افتتحت بعد ﴿الٓمٓ﴾ بشكل مباشر ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾[3].

تشير الآيات إلى ما حدث في الأمم السابقة مما ذكره سيد الخلق، ثم بينت الآيات حكمة فتنة المؤمنين، وهي تمييز من صدق في إيمانه، ومن كذب ثم تهديد لمشركي قريش بأنهم لن

(١) موقع ابن باز.
(٢) ص ٦٥٢.
(٣) سورة العنكبوت، آية ٢-٤.

يسبقوني، بل سيعذبون على ما اقترفوا بحق المؤمنين الصادقين.

- وفي سورة الروم: برزت قضية مهمة وخطيرة، وهي: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾(١).

لقد دار صراع مرير بين الفرس وبين الروم، انتصر الفرس أولا؛ ففرح المشركون بهزيمة الروم، وحزن المسلمون ثم غلبت الروم بعد ذلك، كيف؟ هذا ما تبرزه الحقائق التالية:

- نزلت هذه السورة عام ٧ للبعثة في مكة، إذ قال المشركون للصحابة يجادلونهم -وهم بمكة- قبل الهجرة إلى المدينة: الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبتهم المجوس، وأنتم تزعمون أنكم ستنتصرون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم، فكيف غلب المجوس الروم، وهم أهل كتاب، فسنغلبكم كما غلب الفرس الروم، فأنزل الله هذه الآيات.

---

(١) سورة الروم: آية ٢-٧.

- ونذكر طرفا من الصراع بين الفرس والروم، والذي بدأ بغلبة الفرس وانتصارهم على الروم، ثم انتصار الروم على فارس، فنقول: انتهت سلسلة المعارك بين الفريقين، هذه السلسلة التي كانت بدأت بهزيمة الروم في معركة أنطاكية عام ٦١٣م، ولكنه خلال بضع سنين في نهاية الحرب بين الطرفين من ٦٠٢م إلى ٦٢٨، في منطقة غور الأرد، في أدنى الأرض أشدها انخفاضا عن سطح البحر، كما أشار ابن عباس رضي الله عنه.

أما المعركة التي غلب فيها الروم فقد كانت في نينوى ٦٢٧/١٢/١٢م، بقيادة هرقل ملك الروم.

قائد الحملات والمعارك ضد الروم كان القائد الفارسي **(أبرويز)** الذي قاد حملة فارسية عام ٦١١م توجت بانتصار كاسح على الروم عام ٦١٤، لكن الرومان بقيادة هرقل أيضا بدأوا سلسلة معارك انتهت في عام ٦٢٨م بانتصار كاسح للروم على الفرس، وهكذا كان الأمر.

وإن هذا المعارك بين القوى الكبرى والإمبراطوريات المتصدرة لهو عامل مهم في تآكل قوة هذه الإمبراطوريات، ولذا وجدنا:

- الصراع القديم بين الفرس والروم قد أضعفهما كليهما ما مهد لانتصار القوة الصاعدة من المدينة المنورة عليهما كليهما.

- ولذا كان من ذكاء الغرب أن جعل من أفغانستان مصيدة للاتحاد السوفيتي السابق، الذي ما لبث أن انهار في بدء تسعينيات القرن الماضي.

- والآن تدور رحى المعركة المستعرة من داخل الاتحاد السوفيتي السابق بين جمهوريتي روسيا وأوكرانيا منذ نهاية فبراير ٢٠٢٢م إلى الآن، وإلى ما شاء الله[١].

- وكان من ذكاء الغرب ترك الأكران يقاتلون وحدهم، فيقتلون، وتخرب ديارهم، في حين يحصد الغرب الجوائز:

* بيع الأسلحة.

* تجميد أموال الطرف المعادي لهم.

* استقطاب ملايين الأكران الهاربين من بلادهم مستجيرين بأحضان الغرب ودياره، حتى قيل إن من هرب من أوكرانيا إلى الغرب ٤/١ سكان الأكران، سكان أوكرانيا الذين

(١) بدء مايو ٢٠٢٣م، وهي ما تزال مستمرة إلى الآن.

تقلصت أعداهم من ٥٦ مليونا أيام الاتحاد السوفيتي إلى ٤٠ مليون نسمة فقط، والعهدة على الراوي.

- إن المعركة الحامية الآن ليست بين روسيا وجارتها، لكنها في الحقيقة بين روسيا وبين الغرب، أو بين الغرب الأوروبي وبين الشرق الروسي؛ المعركة مستعرة استعارا، إلا أنها ستكون بالغة الأهمية والخطورة والتأثير في مستقبل العالم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ولعلهم لا يعقلون، ولا يفهمون.

وننتقل الآن إلى موضوع آخر في سورة أخرى، وهي: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾(١): نبدأ أولا بالإعراب الذي نرجع فيه إلى الدكتور محمود ياقوت، فنسطر إعرابه، ثم نعقب عليه برأينا، كما يلي:

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ...﴾ هذه الحروف المقطعة أوائل السور لها عند ياقوت خمسة إعرابات كما سبق، منها:

- ن: حرف لا محل له من الإعراب، أو هو مبتدأ خبره محذوف أو العكس: خبر محذوف المبتدأ، أو أن **(ن)** في محل جر بحرف جر وقسم محذوف، والتقدير: و**(ن)** أو أقسم ب **(ن)** وأنا أميل إلى هذا المنحى، أي إن الواو في **(وَالْقَلَمِ)**

(١) سورة القلم، آية ١.

عاطفة، أي أقسم ب (**ن**) وأقسم ب (**الْقَلَمِ**)، وبما (**يَسْطُرُونَ**)، ولا أميل إلى أن الواو في (**وَالْقَلَمِ**) هي حرف قسم، بل هي عاطفة، مثل (وَمَا يَسْطُرُونَ)، وهكذا.

فما تفسير: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ **جاء في تفسير**(١) الميزان: ظاهر السياق أن المراد مطلق القلم ومطلق ما يسطر به، وهو المكتوب، فإن القلم وما يسطر به من الكتابة من أعظم النعم الإلهية، التي اهتدى إليها الإنسان، يأتي بعد الكلام في الأهمية، بل هو صورة من الكلام، هو مكتوب غير منطوق، يسجل كل شيء وهذا العلم، وهذه الكتابة.

وقد امتن الله -سبحانه وتعالى- على الإنسان بهدايته إليهما وتعلمه إياهما، فقال عن الكلام:

- ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾(٢).

- وقال في القلم: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾(٣).

---

(١) بتصرف واضح.
(٢) سورة الرحمن، آية ٣.
(٣) سورة العلق، آية ٤.

- ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[1].

فقسم الله بالقلم وما يسطرون قسم بالنعمة، كما أقسم بكثير من خلقه، بما أنه -القلم- رحمة ونعمة، كالسماء والأرض والقمر والليل والنهار، إلى غير ذلك حتى التين والزيتون.

{... وَمَا يَسْطُرُونَ} ما مصدرية، والمراد به الكتابة، ولكن ما المراد بالقلم هنا؟ قيل المراد به القلم الأعلى في حديث: (أنه أول ما خلق الله {وَمَا يَسْطُرُونَ} ما يسطره ويكتبه الملائكة الحفظة الكرام الكاتبون، واحتمل أن يكون المراد بالقلم وما يسطرون أصحاب القلم وما يسطرونه وما يكتبون، بشكل عام، وكل ما سبق من الاحتمالات واردة.

وقد تناولنا الآن أربع سور بعد افتتاحها بالحروف المقطعة، حروف المباني كلها تناولت موضوعات مهمة وأحداثا خطيرة، وبقي في الجعبة ٢٥ سورة بدأت عقيب هاتيك الحروف بالقرآن أو الكتاب، أو بالآيات، أو بالإشارة المباشرة إلى شيء مما سبق، فنقسمها إلى ما يلي:

أولا: مادة **(ن ز ل)**: التي وردت مصدرا، ووردت فعلا عقيب الحروف أو مصدرا، كما يلي:

---

(١) سورة العلق، آية ٥.

١ - **المصدر**: وقد جاء في عدة سور = ٦ سور، هي:

أ- **السجدة**: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[١].

ب- **فصلت**: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

جـ- **غافر**: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[٣].

د - **الجاثية**: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[٤].

هـ - **الأحقاف**: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[٥].

---

(١) سورة السجدة، آية ١-٢.
(٢) سورة فصلت، آية ١-٣.
(٣) سورة غافر، آية ١-٢.
(٤) سورة الجاثية، آية ١-٢.
(٥) سورة الأحقاف، آية ١-٢.

بل ورد المصدر (**تنزيل**) بدون الحروف المقطعة، وقد رأينا هذا في سورة: - الزمر: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(1).

٢ - ووردت مادة: (ن ز ل) فعلا في السور الآتية:

أ - **إبراهيم:** ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾(2).

ب- **الأعراف:** ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(3).

جـ- **هود:** ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(4) مع ملاحظة أن الكتاب اتصف واتسم بالإحكام ثم التفصيل قبل أن ينزل، وهذا منطق وبداهة.

---

(١) سورة الزمر، آية ١-٢.
(٢) سورة إبراهيم آية ١.
(٣) سورة الأعراف، آية ١-٢.
(٤) سورة هود، آية ١.

د- **الشورى:** ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[١]؛ وهنا استخدم الفعل **(يوحى)** ولي: ينزل، أو: نزل.

هـ - **في سورة آل عمران:** كانت الجملة اسمية، لا فعلية، جاء في بدايتها: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾[٢]، وقد جاءت مادة **(ن ز ل)** فيما سبق مرتين، قبلهما: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ثم {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ..... وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ}

و – **طه:** ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾[٣]، ولكن الآيات عادت لاستخدام مادة **(ن ز ل)** وإن كان من نوع المصدر: ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾[٤].

---

(١) سورة الشورى، آية ١-٣.
(٢) سورة آل عمران، آية ١-٣.
(٣) سورة ط، آية ١-٣.
(٤) سورة طه، آية ٤.

ثانيا: الإشارة إلى الكتاب أو آيات الكتاب: وردت الإشارة إلى الكتاب فقط، دون الآيات، أو دون آياته في سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(١).

في حين جاءت الإشارة للكتاب في ثماني سور، هي:

١ - **يونس**: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٢).

٢ - **يوسف**: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾(٣).

٣ - **الرعد**: ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤)؛ **لاحظ** استخدام الفعل **{أنزل}** بعد الإشارة للآيات.

٤ - **الحجر**: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾(٥) فسرت الآية **{الكِتَابِ}** بأنه: **{... قُرْءَانٍ مُّبِينٍ}**.

---

(١) سورة البقرة، آية ١-٢.
(٢) سورة يونس: آية ١.
(٣) سورة يوسف، آية ١.
(٤) سورة الرعد، آية ١.
(٥) سورة الحجر، آية ١.

٥ - **الشعراء:** ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾(١).

٦- **النمل:** ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٢)؛ قدم القرآن على الكتاب.

٧ - **القصص:** ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾(٣).

٨- **لقمان:** ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٤).

كل ما سبق فيه إشارات إلى آيات الكتاب العزيز، كما ترى.

ثالثا: الواو بين الحروف المقطعة وبين الكتاب: أو بين القرآن، وهو ما جاء في ثلاث مواضع، هي:

١- **يس:** ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾(٥).

---

(١) سورة الشعراء، آية ١-٢.
(٢) سورة النمل، آية ١.
(٣) سورة القصص، آية ١-٢.
(٤) سورة لقمان، آية ١-٢.
(٥) سورة يس، آية ١-٢.

٢- **ص**: ﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾[(١)].

٣- **ق**: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾[(٢)].

موضعان جاء فيه **(والكتاب)** بدل: **(والقرآن)** هو في سورة الزخرف: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[(٣)].

سورة الدخان: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾[(٤)].

واضح أن الواو عطفت ما بين قسمين، القسم الأول بالحروف المقطعة، ثم واو العطف التي عطفت ما بعدها على ما قبلها، ففي الدخان: {**حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**}.

هذا قسم من الله بـ{**حم**}، وبـ {**الكتاب الْمُبِينِ**}، أي: القرآن الكريم.

أي: كل السياقات بعد الحروف المقطعة، سواء ما فيه تصريح بمادة **(ن ز ل)** أو مع الواو، وبعدها القرآن أو الكتاب،

---

(١) سورة ص، آية ١-٢.
(٢) سورة ق، آية ١-٢.
(٣) سورة الزخرف، آية ١-٣.
(٤) سورة الدخان، آية ١-٣.

أو مع الإشارة إلى الكتاب أو القرآن، أو آياته؛ ليؤكد الفكرة القرآنية من أن كل ما جاء به محمد لهو وحيٌ، وتنزيل من رب العالمين، وليس من عنديات محمد كما ادعت المكينة الإعلامية القرشية التي ادعت أن ما جاء به محمد إن هو ﴿...أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1].

قد أفضتُ كثيرا كثيرا في الحديث عن حروف المباني أوائل السور؛ فهل بقي من شيء؟ نعم في النفس شيء، هو أن قطع هذه الحروف في فواتح السور، فهي مقطوعة ساكنة الآخر، أو كأنها موقوف عليها، أي سكون بلا إعراب أو التنوين، أي وقف أو -كأنه كذلك- فإما السكون، وإما حركة طويلة، كما في: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[2] = (كاف - ها - يا - عين - صاد) أو حرف مد، كما في (**ها - يا**) وهكذا دواليك.

هذا الوقف على السكون منع الإدغام، كما في (ألف - لام - ميم) فلم تك: (**ألف - لام - ميم**) أو : (لامم)، ولم يك أيضا، كما في {**كهيعص**} فلم يك (**عين صاد**) بالإخفاء، وهكذا.

---

(١) سورة الفرقان، آية ٥.

(٢) سورة مريم، آية ١.

تذكر هنا هنا وهنالك، أيضا بأنه في الوقف لا إعراب، ولا تنوين، وكذا في حروف المباني مفردة (**ألف ـ باء ـ تاء ـ ثاء ....**)، وكذا في الأرقام مفردة: (**واحد - اثنان ـ ثلاثة ـ أربعة - خمسة** ...إلخ).

مادة:

(ح ق ق)

الحقائق الكونية والحقائق القرآنية:

بدأ الشيخ -رحمه الله- قبل المقارنة بين الحقائق الكونية (**العملية**) وبين حقائق القرآن الحديث عن أمرين هما:

- إعجاز القرآن.

- الإسناد.

الأول: إعجاز القرآن: فيؤكد المشيخة أن إعجاز القرآن حقيقة واقعة رائعة، لكن هذا ليس زمن مقارنة حقائق القرآن بنظرية علمية، بل قارن الحقائق العلمية بحقائق القرآن الكريم، إذن المعادلة صحيحة ومنطقية.

الثاني: الإسناد: ثم يدخل الشيخ في شرح الإسناد مفرقًا بين الظن وبين الشك وبين الجزم، وبين الجهل والعلم، كيف؟

يشرح ويفصل فيرى فضيلته: كل لفظ يستخدم له معنى مفرد مستقل، مثلا: (**سماء**) هي ما علانا، لكن لم نقل: ما لونها، إذن المعنى مفرد، ليس من جملة، ومثل: (**الأرض**) التي نحن عليها، إذن فالألفاظ لها معنى في ذاتها، هذه الكلمة لو دخلت في جملة، إذن هذا إسناد (**محمد كريم**) = إسناد، أسندنا إلى محمد الكرم.

هذا الإسناد أو الإخبار مجزوم به أو غير مجزوم به؟

مرة يجزم به، ومرة لا يجزم، فإن كان غير مجزوم به فكان النفي والإثبات متساويا / متساويين- على قدر بعضه سمي هذا بالشك، فإن ترجح واحد منهما على الآخر فهو ظن، أو غالب الظن، فالنسب التي لا يجزم بها ثلاث:

- متساوية= شك.

- راجحة= ظن.

- مرجوحة= وهم.

فإن كانت النسبة مجزوما بها، فإن جزمت بها، فإذا كانت موافقة للواقع، فهو علم، وإن جزمت وهي ليست موافقة للواقع فهو جهل، وإن كانت موافقة للواقع ولكنك لا تستطيع التدليل عليها فهو التقليد، كما يقلد الصبي أباه أو محفظه في قراءة القرآن، لكنه لا يملك الدليل.

فهل يصطدم القرآن مع العلم؟ كلا، إنه يصطدم مع الظن، ومع الشك ومع الوهم، ومع الجهل ومع التقليد، لكنه لا يصطدم ألبته مع العلم.

فالحقائق الكونية لا تصّادم مع الحقائق القرآنية وضرب أمثلة موضحة لما سبق:

١- **ويعلم ما في الأرحام**: عندما تمكن الطب والأطباء من تحديد نوع المولود، هل الجنين سيكون ذكراً أو أنثى؟ قال

المرجفون في الدين، عرفنا ما في الأرحام من أنثى أو ذكر، لذا فإن علم الله ما في الأرحام قد أصبح معلوما لنا ـنحن البشر- ويرد الشيخ بأن ما في الأرحام ليس كون المولود ذكرا أو أنثى فقط في وقت معين ومرحلة معينة، لكن هل عرفنا أن المولود سيكون ذكيا أو غبيا، طويلا أو قصيرا، سعيدا أو شقيا غنيا أو فقيرا إلخ، كمٌّ من المعلومات لا تنتهي إن بدأت، فمعنى ما في الأرحام أوسع بكثير من كون المولود من الإناث أو الذكران.

٢- **السماوات السبع**: أول العصر الحديث كانت فتنة وقع فيها كبار العلماء، عندما اكتشفت الكواكب السيارة السبعة قال هؤلاء الكبار هذه هي السماوات السبع التي عنها تحدث القرآن، ولكن الاكتشافات العلمية تواترت فزاد العدد عن سبعة؟! وتزايدت وتزايدت لكن في نطاق السماء الدنيا، أو الأولى على رغم ضخامتها، وجاء الشيخ بمعلومات مهمة وأرقام وإحصائيات ضخمة حتى قال: إن القمر ضاحية من ضواحي الأرض.

كل هذا كان جريا وراء الظن والنظريات التي لم تثبت، لكن إن قارنت حقائق القرآن بحقائق الكون والعلم لا تجد من قرآنك تعارضا مع الحقيقة الكونية، مثال آخر:

٣- **عندما صعد الإنسان إلى الفضاء:** قال القائلون قول الله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[1] أي إن السلطان هنا سلطان العلم، يرد الشيخ: أين العلم حين عرج رسول الله ﷺ؟ إن هذه الآية في سورة الرحمن هي أقوى دليل على عملية المعراج، لأن السلطان هنا ليس سلطان العلم {بسلطان}= بسلطاني أنا، أي الخالق، وليس بسلطان علم المخلوقين.

وقد استدل الشيخ بمقارنة حقائق القرآن بحقائق العلم في الكون:

١- عندما كنا نقرأ ونحن طلاب أن الأرض كروية كنا نجتهد في سرد الأدلة، لكنا الآن لم نعد بحاجة إلى شيء من هذا، لماذا؟ لقد صورت أرضنا عن بعد، ورأينا صورها مكورة، وليس بعد رؤية العين عيب، أو عين.

٢- عرفنا أن الغلاف الجوي جزء من الأرض يسير معها، ليس عنها ينفصل، فإذا استخدم القرآن حرف الجر **(في)**

---

(١) سورة الرحمن، آية ٣٣.

بدل (**على**) عند السير على الأرض، كما في: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(١).

عرفنا وتوكدنا أن التعبير دقيق مع حقيقة أن الغلاف الجوي جزء لا يتجزأ من أرضنا، ومن ثم كان التعبير (**تمشي في**) وليس (**تمشي على**) إذن توازن الحقيقتان وتطابقتا، الحقيقة القرآنية والكونية (**العلمية**).

٣- الجبال ليست جامدة: يقول تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾(٢) والجبال تمر مر السحاب؛ لأنَّ حركة السحاب ليست ذاتية، وإنما بسبب الرياح، فكذا الجبال حركتها ليست ذاتية، إنما تابعة لحركة الأرض الموكدة، صنع الله -في الدنيا- الذي أتقن كل شيء.

(١) سورة الأنعام، آية ١١.
(٢) سورة النمل، آية ٨٨.

مادة:

(ح م د)

الحمد:

الحمد ضرورة ومنطق وبداهة، وكذا الاستعانة بالله جل وعلا، كيف ذلك؟ هذا ما يوضحه الشيخ ـرحمه ربنا- فيما يلي:

معنى الحمد لله: الذي في بداية سورة الفاتحة، كل هذه النعائم من خالق السماوات والأرضين، خالق الإنسان والجان، هذه النعائم كلها كلها توجب الشكران للمنعم الأعلى ـرب العزة- ولذا كانت حيثيات ذياك الشكران، كما ذكرت السورة:

- الرحمن.

- الرحيم.

- ملك/ مالك يوم الدين.

ومن هنا كان التعقيب: إياك نعبد، وإياك نستعين، ولكن الحمد عند الشيخ عالم لا محدود، لا نهائي، هكذا:

١- الحمد ضرورة ومنطق وبداهة، فإن كل هذه النعائم الإلهية والفضائل لا بد لها من منعم متفضل، كما إذا سقط مني ـمن الشيخ- هذا القلم الذي يمسكه المشيخة، فإن القلم حقيقة واقعة بادهة، فإذا قلنا لمن هذا القلم؟ هذا هو السؤال، فنقول -مثلًا- القلم للشعراوي، أي ملك له.

٢- فإذا تاه إنسان في صحراء، ثم غلبه النوم، وعندما استيقظ وجد مائدة طعام عامرة فاخرة فإنه لا بد حتمًا ولزمًا سوف يسأل: من أين هذا كله وممن؟ ليوجه إليه الشكر الجزيل.

٣- إذن فالحمد غريزة وبداهة للمنعم الذي أنعم علينا من غير حول منا ولا طول، ولكن لمن يوجه الحمد في هذا الكون؟ يوجه الحمد لله كما وجه القرآن، والذي جاء بحيثيات الحمد، كما سبق.

٤- عطاء الربوبية وعطاء الألوهية: كان المتوقع أن يقول القرآن: الحمد لرب العالمين، فذاك أن عطاء الربوبية نعائم وأفضال في حين إن (**الحمد لله**) يشير إلى التكاليف؟ إلا أن هذه التكاليف باب واسع من الإفضال والإنعام، لأن الإنسان بدون منهج يهديه ويعصمه هو ضال مضلل ـبكسر الصاد وفتحها- ولذاك جاء في سورة العصر: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الإنسان بدون الهداية الإلهية ضائع تائه، فاسد ومفسد ولذا كل خبر يصف الإنسان تجده في باب الفساد، أو من باب الفساد والإفساد إلا أن يكون الإيمان:

- ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢] ثم تسرد الآيات صفات المؤمنين بالله، المهتدين بمنهاجه بدءًا بالمصلين ـأو

بالصلاة- والزكاة والتصديق بيوم الدين إلى المحافظة عليها: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ سورة المؤمنين التي بدأت بالصلاة والخشوع فيها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ وانتهت الآيات في بدء السورة –سورة المؤمنون- بالحفاظ على صلواتهم.

- وفي سورة التين: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ﴾ أي: الإنسان: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ سورة التين، فالإيمان هنا وفي كل مكان وزمان منجاة من أسفل السافلين.

ثم؟ ثم: هل الحمد الثناء هل هو الثناء والمدح، أو هو مزيج انفعالي يبدي الإعجاب بجلائل النعم وعجز عن شكرها؟ المدح غير الحمد؛ لأنك قد تمدح شيئا بما لا بد فيه، كما تقول: هذه الجوهرة قيمة، الجوهرة لا دخل لها ولا يد في كونها جميلة، أو قيمة، أو غير هذا.

- إنما الحمد لمن له اختيار في الفعل أو عدم الفعل، هذه الانفعالات بالحمد تأتي أولا إلى العقل، ثم تستقر في القلب، ثم تفيض على الجوارح ومن هاتيك الجوارح، ثم تنفعل مع حركة الكون.

- ومن إعراب عربية بني يعرب: الحمد لله مبتدأ وخبره، الجار والمجرور خبر، أو كما قال النحاة الجار والمجرور

متعلق بمحذوف، ذياك المحذوف هو خبر، أو هو الخبر، فجملة (**الحمد لله**) جميلة قصيرة جدا، أو فصيرة ـبسكون الياء وفتح الصاد- وبسيطة أيضًا، وفيها كل الثناء على الله، لأنا إن كلفنا بحمده والثناء عليه، فكيف يكون ذلك؟ سيتفاوت الناس ويختلفون، فمن عنده قوة بيان ولسان يسطيع يقول ويعبر، ومن ليس عنده شيء من بيانه: كيف يحمد الله؟ لا تكافؤ في الفرص هنا، وفي أمر ضروري مطلوب للجميع، كل الجميع، فرحم الله من لا يقدر بأن قيد من يقدر أن يحمد الله بهذه الصيغة البسيطة المبسطة، إذ الضعيف أمير الركب، وهذه نعمة جديدة، ومن جديد، فالحمد بتيك الصيغة المبسطة نعمة أخرى تستحق الحمد من جديد.

والحمد أولًا وأخيرًا انفعال النفس بكل ملكاتها للمنعم بجلائل النعم ومن رحمات الله علينا أنه وضع صيغة الحمد لله ليستوي بذلك القادر على البيان وغير القادر عليه.

حرف الخاء

مادة:

(خ ط أ)

الخطأ:

قبل تعريف الخطأ أشار الشيخ إلى بشرية الرسول صلى الله عليه وآله وما نسب إليه من خطأ أو أخطاء على حد زعمهم، مقدما هذا بالفرق بين الوحي القرآني والحديث الشريف، فقد جاء قرآن ربي إلى محمد من طريق جبرائيل، وبشكل مباشر، فذياك القرآن لا يحمل للمسلمين المنهج فقط، بل المنهج مع الإعجاز، ليس لبشرية الرسول بحالٍ فيه، في حين جاءت الأحاديث الشريفة برواية سيد الخلق وتعبيره وألفاظه، هي الأخرى وحي من رب القرآن ومنزله، إلا أنه وحي بطريق النفث في الروح والإلهام.

ويشير الشيخ أن بعض المشككين حاول اتهام الرسول بالخطأ، وأنه قد يخطئ، وهذا –في رأيه- جزاف في القول، ويتساءل: ما معنى الخطأ، وما معنى الصواب؟ فيأتي من شرح القاعدة ليصوبها، فنحن نعلم النشء الناشيء أن الفاعل مرفوع، فإذا أخطأ المتعلم صوب المعلم ذياك الخطأ لأنه خالف القاعدة الصواب، أو قاعدة الصواب التي تعلمها أما إذا لم تك له قاعدة صوابية فلا يقال: إنه وقع في الخطأ، ولكن الأحكام التي أعطاها الخالق لرسوله ﷺ لم تك عن قاعدة صوابية من الله، لكنها أمور لم ينزل فيها حكم مسبق من الله، بل اجتهد الرسول ﷺ من نفسه ببشريته المبنية على العصمة والفطنة والأمانة.

ثم من يستطيع أن يقول إنَّ حكم البشر مساو لحكم الله في أية قضية، فإن عَّدل الله الحكم لمحمد فلا يقال إن الله صوب له الخطأ، إنما هداه لما هو أشد صوابية من رأي محمد ﷺ ولذا كان القرآن دقيقا في صياغته، كيف؟

قصة زيد: كان لمحمد عبد اسمه زيد، أسر في الحرب وبيع في مكة اشترته السيدة خديجة وأهدته لمحمد، عرف أبوه مكانه، جاء إليه يأخذه لحضن أبيه، لكن الابن عندما خبره اختار حضن الرسول محمد ﷺ على حضن أبيه قائلا: **(ما كنت أختار على رسول الله أحدا)** ومن كرم الرسول ﷺ تبناه، وسماه زيد بن محمد.

لكن الله أراد أن يبطل عادة التبني التي كانت عند العرب، أمر الله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ فتغير الاسم إلى زيد بن حارثة، بدل زيد بن محمد، انظروا إلى دقة التعبير القرآني وإنصاف لسيد العرب والعجم، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[1].

هو أقسط أفضل عند الله، لم يقل ذلك قسط -أي عدل- لكن قال أقسط، كأنه لم ينسب إلى محمد ﷺ جورا أو ظلما.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٥.

لكن من ظلم في هذا الأمر؟ إنه زيد الذي كان زيد بن محمد فأصبح زيد ابن حارثة، فعوضه الله بذكر اسمه في القرآن، فكان الصحابي الوحيد الوحيد الذي ذكر اسمه في كتاب ربي: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[1].

ثم هل انطلق محمد في رأيه عن هوى مفروض؟ كلا، وإنما عن رأي بشري قابله حكم إلهي.

لقد كان عتب الله على رسوله عتب محبة وإشفاق، كما تقول لابن لك يرهق نفسه في المذاكرة فتأمره بالكف عن السهر والمذاكرة، إنه عتب له، فإن أمر الرجل ابنه المهمل بالجد في المذاكرة، فهذا عتب عليه، لا له.

ابن أم مكتوم: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾[2] لقد اختار محمد الأصعب والأكثر صعوبة، لقد اختار أن يتكلم إلى المعاندين المناوئين من صناديد قريش، وهذا أمر شديد الصعوبة وأعرض عن ذياك المؤمن الجاهز المستعد لسماع الحق من سيد الخلق، ولذا كان عتب إشفاق من رب الحق إلى سيد الخلق، وهكذا.

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٧.

(٢) سورة عبس، آية ١-٢.

وكان مقتضى منطق الخلق أن يكتم الرسول ما عورض فيه وعوتب، ولكن الأمانة دفعته إلى مصارحة أصحابه بما قيل له، وخاصة أن الحكم لم يتغير.

وأنا أقول -يا سيدي الشيخ- لقد عبس محمد في وجه أعمى لم ير شيئا، فكأن جريمة أو شيئا من جريمة لم يقع لأن الرجل أعمى لم ير عبوسا ولا توليا.

أسرى بدر: حين أخذ منهم الفداء وخلي سبيلهم فقال الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

فهل تغير الحكم من قبول الفداء إلى القتل؟ وبرغم ما كان لرسول الله أن يكتم شيئا مما نزل.

في سورة التحريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾(٢).

هذا عتب محبة وإشفاق، كأن سيدنا رسول الله ألزم نفسه بما لا يلزم، فكلف نفسه فوق المطلوب منه.

---

(١) سورة الأنفال، آية ٦٧.
(٢) سورة التحريم، آية ١.

وفي نهاية هذا القصص أقول لسيدي الشيخ لعل الله أراد لنا -نحن البشر- تعليما وإرشادا حيث إن من تأمروا على الناس مهما قل عددهم وصغر شأنهم كثيرا ما يأنفون أن يناقشوا أو يراجعوا في شيء، وكذا عامة الناس وضعفاؤهم، جاء العتب على سيد الخلق في قرآن ربي مع الاحترام الشديد والتوقير لإمامنا الشعراوي في كل ما جاء بصدد هذا القصص، وقد ذكر الشيخ أو ذكر بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾(١).

وفي علم اللغة السياق مهم في بيان معنى الكلام، ومن هذا السياق العلاقة بين المتكلم وبين المخاطب ما كان بين عينيه بن حصن الذي استقل نصيبه من الغنائم، فقال المصطفى لأخيه وابن عمه، ابن أبي طالب: **(قم يا علي -فاقطع لسانه)**، وقبلها قال الرسول- في رواية أخرى: أقطعوا عني لسانه.

وعندها قام عمر بن الخطاب إلى شفرة كانت في وسطه ليسلها فيقطع بها لسانه، فقال النبي لأمير المؤمنين عليه السلام: قم أنت فاقطع لسانه.

---

(١) سورة الحاقة، آية ٤٤-٤٥-٤٦.

وهنالك ارتاع الرجل قائلا: أو كما قال (أو قاطع لساني، يا أبا الحسن: قال: نعم، إني لممضي فيك ما أمر).

فأخذه أبو الحسن إلى إبل الصدقة، فقال له: خذ ما تشاء، فقطع لسانه.

إن السياق هنا وفيه العلاقة -بين الرسول وبين هذا الرجل وكان من المؤلفة قلوبهم- قد أدت معنى قطع اللسان الذي فهم قصد ابن عمه، بأن قطع اللسان معناه هنالك إرضاؤه وقطع لسان اللوم والتذمر لدى ذياك الرجل، وقد فهم ابن أبي طالب هذا لأنه عاش طفولته في كنف الرسول ورعايته، فكان يفهم عنه بشكل أسرع وأيسر، حيث إن مرحلة الطفولة ترسخ في أذهان الرجال، إذ نجد الطفل ذا ذاكرة قوية لماحا وذا تركيز معمق، وكذا كان أمير المؤمنين يفهم إشارة الإشارة من ابن عمه بحكم طفولته معه، وهذا ما ذكره المستشار عبد الحليم الجندي في كتابه عن الإمام جعفر، حيث ذكر هذه الحكاية بطريقته في الرواية والسرد، ذياك الذي قرأت فيه هذه الحكاية في طبعة المجلس الأعلي للشئون الإسلامية في القاهرة، عام ١٩٧٧م.

ونعود مرة أخرى لشيخنا الشعراوي الذي يلخص في عتب الخالق لسيد المخلوقين، فيرى:

- نزل إلينا القرآن، كما قاله الله.

- متشابهات القرآن جاءت لنفي الرتابة والنمطية عن القرآن، فكل شيء عنده بمقدار ومذاق.

ثم عاد الشيخ إلى قصة الكتابة، فيخطئ من يقول بأن الصحابة -رضي الله عنهم- أخطأوا في الكتابة فأرادوا أن يكتبوا القرآن بالرسم الإملائي، وكتب مصحف بهذا، ولكن اعترض عليه، ثم عرض الأمر على لجنة كان الشيخ عضوا فيها، فاعترض، وألغي المشروع، ولكن يا شيخنا:

- قال أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين: إنَّ الصحابة كتبوا القرآن بالكتابة التي كانت سائدة على أيامهم.

- وأنا أقول يا سيدي بأننا نعيد النظر في رسم بعض الكلمات ليس إلا، كما سبق شرحنا.

خطاب وانفعال الجماد والحيوان، وغير الأناسي مما أشارت إليه آيات وأحاديث شريفة وروايات:

ففي القرآن الكريم: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٩].

وكأن السماوات والأرضين لهما بكاء، من يقول هذا؟

نعم لهما بكاء!! يؤكد الشيخ على بكائهما على العبد الذي انفعل بالتكاليف انفعال الكائنات –من غير الأناسي- بتسخير الله لها، فانسجم معها، ولذا قال الإمام علي –رضي الله عنه وكرم الله وجهه- في بعض الروايات:

إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان، موضع في الأرض، وموضع في السماء، أما موضعه في الأرض، فموضع مصلاه، ومصعد عمله(١).

ولكن لا أحد من المخاليق يسطيع أن يتواصل مع المخلوقات الأخرى من غير الأناسي إلا بأمر خالق المخاليق، فأما الخالق فإنه يتواصل ويخاطب هذه العوالم، وتتفعل مع ربها وباريها.

ومن ذاك:

١- حنين الجذع: عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ كان يخطب إلى –أو على- جذع قبل أن يتخذ المنبر،

(١) من عجب أن الإمام علي –عليه السلام- لم يقل موضع سجوده، فإن بعض المصلين لا يسجد في صلاته على الأرض، عندما يصلي جالسًا، فيشير إلى السجود والركوع بجسمه الأعلى.

فلما اتخذ المنبر تحول سيد الخلق إلى المنبر، فحن الجذع، فاحتضنه فسكن[1].

٢- رجف أحد: روي أن النبي ﷺ صعد أحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم- فرجف بهم، فقال محمد: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» رواه البخاري، وقال سيد الخلق أيضا: «**إن أحدًا جبل يحبنا ونحبه**».

هذا ما كان مع سيد الخلق، ويشبهه ما كان من شأن نبي الله داود وسليمان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ...﴾ [النمل ١٥-١٦].

وفي مكان آخر كتبنا أن منطق الطير –والحيوان والجماد- لها منطق أو لغة تستخدم للتسبيح لربها، والتواصل بين مجتمعها، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ﴾ أي شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم لأنه بغير لغاتكم، وإنما بمنطقها فقد

(١) راجع روايات عن ذياك الجذع في موقع المكتبة الشاملة https://shamela.ws/.

نهى سيد الخلق قتل الضفدع فقال: «**لا تقتلوا الضفادع؛ فإن نقيقها تسبيح**» رواه الطبراني.

ومن البديهي المنطقي أن الخالق هو الذي أعطى أنبياءه -ومخالقه- القدرة على فهم المخلوقات غير الأناسي، ومن هنا فإنه القادر -بلا شك ولا ريب- على مخاطبة كل الكائنات، قال **تعالى**: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ **[فصلت: ١١] ومن ثم فإنه حدث من سليمان مع النملة ومع الهدهد، كما حكت سورة النمل فيما يلي:**

قالت نملة:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١).

(١) سورة النمل: ١٧ وما بعدها.

فهم سليمان ما قالت النملة، بل تفاعل معها، وتبسم لقولها وتوجه إلى ربه صاحب الفضل والنعائم عليه وعلى والديه.

محاكمة الهدهد:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ﴾ سليمان: ﴿مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ﴾ فهل هو موجود؟ لكن سليمان لا يراه أم الهدهد متغيب غائب عن هذا الاستعراض والتفقد.

وتوعد النبي سليمان –عليه السلام- جنديه:

- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾.

- ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾.

وبعد هذا الوعيد والتهديد سمح للهدهد أن يدافع عن نفسه: ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أي فليأت بدفاعه وحججه.

وهذا ما كان من الطائر الحصيف: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ ليدلي بحجته ودفاعه فقال: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾ وأوضح مضيفًا ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ ويختم الهدهد دفاعه بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ويصدر سليمان قراره: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ راجع باقي القصة في الآيات التي تلت ما سبق.

إذن فهذا حوار وتواصل بين سليمان وبين هدهده، وقبله تواصل مع النملة حتى إن الملك تبسم من قولها.

لقد قلنا -قبلا- إن منطق الطير والحيوان والجماد –غير الإنسان- لا يقهم الإنسان مثل تسبيح هذه المخاليق، ولا نفقه تسبيحهم فهل منطق الطير -وغيره- منحصر في التسبيح والتواصل بين الجنس الواحد من هذه المخاليق، مع بني جلدتهم فقط، ونحن البشر لا نفهم ذياك المنطق؟؟

وكما أن الخالق يسطيع التواصل مع مخاليقه، فإن الخالق يمكن أن يعطي لأنبيائه، أو لمن شاء من أصفيائه هذه القدرة على فهم منطق هذه المخلوقات، والتواصل معهم كما أعطي رب العزة القدرة على الكلام في المهد مثل عيسى بن مريم أو غيره.

لكن أيسطيع الطير أو الحيوان معرفة لغة الأناسي من البشر؟

كلا كلا، هو غير مسطيع بتة بتة، لكن يدرك ويفهم لغة الجسد وتحركاته وإشاراته ومؤشراته كما فعلت النملة عندما رأت نبي الله سليمان مقبلا بجحافل جيشه وجنده من الإنسان والجان والطير والحيوان ففزعت إلى قومها محذرة إياهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وانظر إلى هذا الجواب -من الكلاب والقطط مثلا- عندما يفر من السيارة أو الدراجة حتى لا تصدمه، أو هذا الحيوان أو الطير عندما تطارده أو تطرده أو تنهره، إنه يفر منك أو من أمامك، أو يحاول الدفاع عن نفسه، أو يحاول إيذاءك دفاعا عن نفسه، كل هذا يشير ويؤشر إلى فهم الحيوان والطير لغة الجسد أو الحركة أو الإشارة.

وعندما حقق سليمان مع الهدهد بدا الهدهد حصيفًا فصيحًا وهو ينافح عن نفسه ويجاحش أمام قائده سليمان عليه السلام وهكذا نجد مخلوقات الله من غير الأناسي تنفعل وتدرك ما حولها، وتتحاشى خطرها، وإن كانت لا تدرك لغة الأناسي ولا تفهمها، إذا تمكن الإنسان من فهم منطقها فذاك من فيوضات الرحمن الرحيم وإرادته على من اصطفى من البشر، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وأخيرًا نشير إلى ملحوظة طريفة من ملاحظ الشيخ الجليل في هذه الحكاية، إذ يحكي سيدنا الشيخ أنك حين تأكل وتهرع إليك قطة، فإن أعطيتها طوعًا وأريحية شيئا قليلا من

طعامك جلست تأكله بالقرب منك آمنة مطمئنة، لا تخف ولا تخجل من شيء أما إذا اختطفت شيئا من طعامك خلسة فجأة فإنها تجري مبتعدة عنك –ما أمكن- لتأكلها على عجل وعلى وجل، هيه: مكر قطط، يا صاح.

مادة:

(خ و ف)

الخوف والغم: يفرق شيخنا الجليل بين الخوف وبين الغم، كيف؟ هذا ما كان:

الخوف: قلق النفس من شيء يعرف القلق -بكسر اللام- مصدره.

الغم: خوف النفس من شيء لا يعرف المغتم مصدره.

ويهرع الشيخ هنا للاستشهاد بقول الإمام جعفر الصادق -رضوان الله عليهما- عجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قول الله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

حرف الدال

مادة:

(د ر ج)

درجات الحب:

صور الشيخ الحب -كمثال- ومفهوم أيا كان الانفعال لذياك المحبوب، فالانفعال للمحبوب هو الأهم، وأسعف الرجل ذاكرته القوية من الشعر وفاخره وفائقه، ففصل درجات الحب، كما يلي:

الأولى: تيك التي صورها الشاعر المفلق المغدق -في شعره- أبو الفوارس في قوله من الوافر:

تقرطق أو تمنطق أو تقبى فلن تزداد عندي قط حبا
تملك بعض حبك قلبي فإن تُرِد الزيادة هاتِ قلبا

- تقرطق: ألبس القرط (**الحلق**).
- تمنطق: ألبس المنطق أو المنطيق (**الحزام**).
- تقبى: ارتد القباء (**الشال على الكتف**).

مهما ارتدى هذا المحبوب من قرط أو حزام أو قباء فلن يزيد الحب، ولن ينقص، فقد امتلأ القلب عن آخره بذياك الحب.

ولكن من هو شاعرنا أبو الفوارس؟

هو سعد بن محمد الصيفي التميمي شاعر فحل، ذو فحولة في شعره، كان لا يخاطب أحدًا إلا بلسان عربي فصيح

مستمسكًا بزي العرب الذي كان يصفه بعض أصدقائي -أي الزي العربي- بأنه زي عبقري، وكان كثيرا ما يتحدث عن عبقرية الزي العربي.

هذا الشاعر العظيم الذي لقب بـ **(حيص بيص)** منذ أن رأى الناس مرة في مزعجة عظيمة شديدة الخلط والاضطراب فقال: **(ما للناس في حيص بيص)** فبقي على هذا اللقب.

من مقطوعاته الرائعة الفائقة من الكامل:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعف ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

توفي أبو الفوارس -عليه من الله حمامات الرحمات- عام ٥٧٤هـ ببغداد العرب والعروبة، دون أن يترك عقبًا.

ولكن ما حكاية هذه الأبيات الأخيرات؟

قلت: في مكان آخر مشيرا إلى تيك الحكاية الطريفة العجيبة:

يحكى أن أحد الصالحين -وكان جارا لابن الصيفي- رأى الإمام علي -عليه السلام- في منامه فسأله: يا أمير المؤمنين،

تفتحون مكة، فتقولون: من دحل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك يوم الطف[1] ما ثم؟

فقال أمير المؤمنين: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟

قال: لا، فقال الإمام علي: لتسمعها منه.

وبمجرد استيقاظ السائل الصالح -واسمه نصر الله- من نومه هرع إلى بيت ابن الصيفي، وعندما خرج إليه الشاعر أسرع جاره حاكيًا رؤياه مع الإمام علي، وإذا بالشاعر يجهش بالبكاء ويشهق بالقسم بأن هذه الأبيات الثلاثة لم تخرج من فيه لأحد، ولا من خطه وإملائه، وأنها لم تنظم إلا في -ليلته- ليلتي هذه فقط، ثم أنشد:

ملكنا فكان العفو منا سجية

الأبيات.

شاعرنا لقب بشهاب الدين، كان فقيهًا شافعيًّا، تكلم في مسائل الخلاف إلا أنه غلب عليه الأدب، وقرض الشعر، وأجاد فيه مع جزالة لفظ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب

---

(١) يوم الطف يوم كربلاء ٦١هـ، التي قتل فيها الحسين بن علي مع سبعين من بني هاشم ومحبيهم، وسميت الواقعة بيوم الطف -أي الشاطئ- شاطئ الفرات.

وأخبارهم واختلاف لهجاتهم، وله رسائل -نثرية- فصيحة بليغة.

وكان –رحمه الله- شديد الاعتزاز بنفسه وبلغته، فكان لا يخاطب أحدًا إلا بلسان بني يعرب معتزًا بزي العرب متقلدًا سيفه كما كان يفعل أجدادنا العرب، لقد كان شاعرًا يرى أنه من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب.

توفي -رضي الله عنه- ليلة الأربعاء، سادس شعبان سنة ٥٧٤هـ، وذلك ببغداد، ودفن بالجانب الغربي[١]، في مقابر قريش[٢] رحمة الله عليه.

وبعد هذه الرحلة المستطردة مع ابن الصيفي ورؤيا جاره للإمام علي –رضي الله عنهم أجمعين- نعود إلى شيخنا الجليل يشرح أبيات ابن الصيفي عن درجة من درجات الحب في الأبيات الأولى:

(**تقرطق** ...) الصورة هنا في الأبيات أن بعض حب هذا المحبوب قد ملأ القلب، فإنه أراد ذياك المحبوب زيادة فإن

(١) راجع كتابنا: التراث العربي في كتب تفسير الأحلام، دراسة في اللغة الثقافة والحضارة، دار نور للنشر، في ١٥٢ وقبلها.
(٢) وفيات الأعيان ٣٦٢/٣.

الشاعر أو المحب يحتاج قلبًا آخر غير قلبه الذي امتلأ عن آخره، ومن بعض هذا الحب.

الدرجة الثانية: من الحب ما جاء على لسان الشاعر أبو الهدى الصيادي من بحر الطويل:

خطراك ذكرك تستثير مودتي ولذلك لم أعشق سواء حبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة إذ كنت به لك -يا حبيب- حبيبا

الشاعر أبو الهدى الصيادي الرفاعي الحسيني، ولد في خان شيخون من أعمال معرة النعمان، تعلم في حلب، وتولى نقابة الأشراف، وكان أشهر علماء الدين في عصره[1].

الدرجة الثالثة: ويتدرج الإحساس والاستغراق حيث يقول أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته الرائعة:

(**سلوا قلبي ...**) في مدح سيد الخلق من بحر الوافر هذان البيتان:

ولي بين الضلوع دم ولحم هما الواهي الذي ثكل الشبابا

تسرب في الدموع فقلت: ولى وصفق في الضلوع فقلت: ثابا

---

(١) ولد في خان شيخون -ولاية حلب- عامي ١٢٦٨هـ و ١٨٤٩م، توفي في الأستانة عامي ١٣٢٨هـ، و١٩٠٩م، رحمة الله عليه.

ويلخص شيخنا درجات الحب بما يلي:

الدرجة الأولى: استغراق الحب قلب المحب حتى ملأه، فلا مجال لمزيد من الحب، فإن كان مزيد من الحب احتاج هذا المزيد إلى قلب آخر غير قلبه، هذا القلب امتلأ عن آخر آخره.

الدرجة الثانية: خطرات المحبوب تستثير مودة المحب، ووصل الأمر إلى أنه لم يعد للمحب عضو من أعضائه إلا وفيه صبابة وحب شديد آسر.

الدرجة الثالثة: وصلت درجة الحب إلى التسرب في الدموع حتى صفق من الضلوع قلبه، يا إلهي يا إلهي**!!** ما هذا الحب الجامح الآسر.

والشيخ لا يقصد الحب والغزل والنسيب إنما يسير إلى استنتاج فهم، هو أن نعائم الله ونعمه لا يحصى وتحيط بالعبد إحاطة السوار بالمعصم، تحاصره في كل شئونه وزوياه وعليه فإن الحمد لله رب العالمين يجب أن يستغرق المرء من ساسه ورأسه في كل ذرة من ذراته، وكلما زاد الإنسان في الحمد زادت عطاءات الله القائل[1]: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ

(١) راجع كتابنا: الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي، القاهرة ٢٠٢٢م، من ٩٣ وقلبها.

لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧] وهو القائل أيضا أيضا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم ٣٤] [النحل: ١٨]

الذال

مادة:

(ذ هـ ب)

ذهب وبقي: أهديت إلى رسول الله شاة، رسول الله كان يحب في الذبيحة لحم الكتف، القريب من المذبح -الرقبة- أشد الأماكن نعومة في الذبائح، لحم من نوع رقيق جدا.

سأل الرسول أهله: «ماذا صنعتم بالشاة -المهداة-؟ أجيب: تصدقنا بها، وبقي كتفها، قال ﷺ: «**كلها بقي إلا كتفها**».

لماذا؟ وكيف كان ذلك؟

لأن الكتف قد أخذناه لأنفسنا، وغير الكتف –أو ما عداه- الذي تصدقتم به قدم لنا في اليوم الآخر، فهو الذي بقي، فالأصل الأصل أن يكون النفع لنا في يوم الآخرة، فنعيم الدنيا إما يفوتنا أو نحن الذين نفوته فنعيم الجنة خالد أبدًا، لا نفوته ولا يفوتنا، إذن فهل الخير الخير أن يكون نعيمنا هنا في هذه الفائنة أم هناك في جنان الخلد الباقية؟ نعم في الباقية.

صدق سيد الخلق في قوله: «**كلها بقي إلا كفتها**» ولذا – يضيف الشيخ- دخل واحد من الناس على بعض الصالحين، فقال له: أريد أن أعرف هل أنا من أهل الدنيا أو من أهل الآخرة؟

انظروا –يقول شيخنا الجليل- إلى دقة الجواب وإشراقية الأداء، قال الرجل الصالح: إن الله أرحم بعبادة أن يترك أوزان أعمالهم والحكم عليها –في أيدي أمثالهم، يا أخي: ميزان كل

امرئ في يد نفسه هو فقط؛ لأنك تستطيع أن تغش الأناسي، لكنك هل تستطيع تغش نفسك؟! اللهم لا.

وأضاف الرجل الصالح: إذا كنت تسر بمن يعطيك فأنت من أهل الدنيا، وإذا كنت تسر بمن يأخذ منك أكثر فأنت من أهل الآخرة؛ لأن الناس يحبون من يعمر لهم ما يحبون.

ولذا قال بعض الصالحين إذا دخل عليه من بطلت صلته يقف له، ويقول: مرحبًا بمن جاء يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجرة.

وشبيه هذا ما رواه مسلم من أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؟! قال: يقول ابن آدم: ما لي ما لي، في مواطن الفخر بالمال، فيرد سيد الخلق: إنما له من ماله:

- ما أكل فأفنى.

- أو لبس بأبلى.

- أو أعطي فأفنى، أي: أبقى.

وفي رواية أخرى: **«وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»** فالطعام يفنى، والثياب تبلى، لكن الصدقة تبقى وتنفعك عند الله تعالى يوم الدين.

وفي رواية ثالثة: **(وما سوى ذلك)** أي ما سوى هذه الثلاثة **(فهو ذاهب وتاركه للناس)** من ورثته أو غيرهم.

وهكذا تختلف دلالة الألفاظ في الدنيا عند البشر عن دلالتها في الآخرة عند الله رب العالمين كيف؟:

- ما يؤكل من الطعام هو الفاني.

- ما يتصدق به هو الباقي النافع المفيد يوم القيامة.

- على عكس معنى: فني وبقي في دنيا الناس(١).

وقرأت أنا كاتب هذه السطور:

١- ذهب رجل إلى الإمام علي كرم الله وجهه وسأله نفس السؤال السابق: هل أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ فرد الإمام علي كرم الله وجهه كما جاء في كتاب قصص الأنبياء والصالحين للشيخ الشعراوي: الجواب عندك أنت لا عندي، انظر: إذا دخل عليك من يعطيك، ودخل عليك من يطلب منك، أيهما ترحب به، وتقابله ببشاشة؟

إن كنت تحب من يأخذ منك فأنت من أهل الآخرة، وإن كنت تحب من يعطيك فأنت من أهل الدنيا؛ لأن من يأخذ منك

---

(١) راجع كتابنا: الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي، ص ٨٤ وقبلها، أو ما قبيلها.

يحمل حسناتك إلى الآخرة، وأما من يعطيك فيزيدك من الدنيا، ولا يعطى آخرتك[١] شيئا، يا فض فوك ولا فض الله فاك يا أمير المؤمنين، أنت -كما قال ابن عمك، هو مدينة العلم وأنت بابها-.

٢- ويروى عن علي -زين العابدين- السجاد بن الإمام الحسين أنه كان يكرم السائل، ويقول له: **(أهلا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة بغير أجرة).**

وكان سفيان الثوري ينشرح صدره إذا رأى سائلا على بابه، ويقول: **(مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي)** وقال الفضيل بن عياض: **"**نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة، بغير أجرة حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى**"**[٢].

وإلى مفهوم آخر من مفاهيم الشيخ رحمه الله.

(١) راجع موقع aljamaa.net/roots/2(3)akbbarak.net.
(٢) السابق.

مادة: الراء

(ر ب ب)

مفهوم الربوبية:

في أول الفاتحة بعد البسملة مباشرة بدأ الخالق بأهم صفة وأعمها، وهي الربوبية، فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فما مفهوم الربوبية يا يرحمك الله؟

رسمها الشيخ رسمًا دقيقًا غاية البراعة والتوفيق، كيف؟

الربوبية تقتضي الإيجاد من العدم أو من عَدَم، والإمداد من عدم، والهداية بالقيم، فهل التربية بالإطعام والإسقاء والسقاء فقط؟ كلا، لا بد من القيم والأدب، وهما أهم مما سبقها، فلا يكون ربا حقيقيا إلا إذا أمد المادة، وقبلها القيم كلمة (رب العالمين) تفيد أنه مرب، وما دام الله مربيا فلا بد من كل ما سبق، وقد فصل الله هذا في قرآن ربي، كيف ذاك؟ خص الأمر المادي باستهلال بعض السور، والأمر القيمي في سور آخر، كما يلي:

١- في مفتتح سورة الأنعام: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ كلام مادي كله -كما ترى- امتنان بالنعائم المادية التي تقيم مادية الإنسان في الكون.

٢- في سورة الكهف: القيم وحدها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾.

٣- في سورة فاطر: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾.

٤- وفي سورة سبأ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾.

فقد يتوهل متوهل واهل أو تائه أن الله قد خلق هذا كله، ثم تخلى عن الكون، يسير ويدور ويدار حسب الرغبة والهوى، وهذا ما ينفيه قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كل هذا الكون وما يحويه لا يزال ملكا لله خاضعا له وخالصا مخلصا كل ما سبق من مادي وقيمي وغيرهما يأتي ويتضمن في مفهوم: **(رب العالمين)** أي الربوبية، والذي شمل المادة والقيم وما بينهما، وما جمع بينهما.

لا فض فوك شيخنا الشعراوي، آمين.

مادة:

(ر ح م)

الرحمة الإلهية:

اتصف الله بالرحمة والنأي عن الظلم والتظالم، ففي الحديث القدسي: {يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا} لقد حرم الله نفسه الظلم على نفسه –آية ظلمة أي ظلم- مهما قل أو صغر –أو قل قدره، وتظالموا أي ظلم بعضكم بعضًا، مهما قل، ويرى شيخنا أنه مرة يكون راحمًا، ومرة يكون رحيمًا، وثالثة هو رحمن.

والفرق يكون فيمن يرحمهم الله، ففي الدنيا تسع رحمته الكافر والمؤمن، وفي الآخرة يرحم الله المؤمنين ... إلخ، فصفات الله واحدة، لا تزيد عنده ولا تنقص، وإنما من تقع عليهم الصفة، فإن كميتها تتغير وتتبدل حسب أحوالهم، وهكذا.

مادة:

(ر س م)

رسم القرآن وكتابته:

قدم الشيخ -رحمات من الله عليه- للقرآن والكتاب قبل الحديث عن قرآن ربي فأشار إلى لفظة (**قرآن**) هي مصدر، أي قرأ قرآنا، مثل غفر غفرانا، لكنه أصبح علما على الكمية الكلامية النازلة على محمد قصد التحدي.

ويسميه الله (**كتابا**) فإن لاحظت القراءة فهو (**قرآن**) وإن لاحظت الكتابة التسجيلية فهو (**الكتاب**) فالقراءة تستلزم حافظًا يقرأ، إذ القرآن له وسيلتان من وسائل الحفظ، يحفظ في الصدور، ويكتب في السطور، ولذا حين كتب القرآن على عهد عثمان -رضي الله عنه- لم تك تكتب آية إلا إذا وجدت مكتوبة، لكنها كانت محفوظة في صدر صحابي واحد فقط، لا اثنين.

هي آية واحد وجدت عند خزيمة فقط، وحده كانت محفوظة في صدره، يقال هي:

- ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

- وفي رواية أنها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ويتذكر الكاتب زيد بن ثابت رضي الله عنه قولة سيد الخلق: «**من يشهد له خزيمة فحسبه**» فكيف كان، ولم كانت هذه الشهادة؟ يحكى أن سيد الخلق كان مدينا في دين جاء من يستقضيه، فقال له محمد: «**أعطيتك الدين**» قال الرجل: هات شاهدا، فلم يجد محمد بن عبد الله غير خزيمة الذي قال: أنا شاهد أن الرجل أخذ دينه، ويعجب الرسول لكن خزيمة يفسر تصرفه هذا بأنه صدق الرسول في كل ما قال، وما جاء من عند الله، فكيف يكذبه في دريهمات لا يقمن صلبا، فسر رسول الله باستنتاج صاحبه وأعطاه هذه الجائزة أي شهادته بشهادة رجلين اثنين، لأنه أحسن الفقه والاستنتاج والتصرف والفهم.

وألمح الشيخ إلماحة مهمة فأشار إلى حقيقة واضحة في كتابة الكتاب الكريم ألا إنها:

إن كتابة بعض الكلمات في القرآن انكتب بطرائق قددا ومنها:

- (**ربا**) كل كلمة ربا مكتوبة بالواو، إلا آية واحدة انكتبت بالألف.

- (**تبارك**) بعضها بالألف، وبعضها الآخر بغير ألف.

- (**بسم الله**) بدون ألف بعد الباء، باسم ربك: كتبت بالألف كما ترى.

شيخنا الجليل يرى أن قرآن ربي له كتابة خاصة، ورسم مخصوص، ويهاجم من يشيعون أن الصحابة -رضوان الله عليهم- ما كانوا يجيدون قواعد الكتابة، ولذا حذفوا الألف من اسم، ومن تبارك -مثلا- إن الشيخ يقول لقائل بما سبق: يا شيخ، أنصف يا عاقل، يا من ترى نفسك مفكرًا، تقود الفكر في الشرق كله، فكر جيدًا، لو أنه هنا خطأ كتاب إملائي -كما تقول- لرئي هذا الخطأ في كل ما كتب من القرآن الكريم.

والشيخ يسأل: لماذا قرأنا في مفتتح البقرة هكذا (الم = ألف لام ميم) وفي سورة الشرح قرأنا: {**ألم نشرح** ...} كذا أول سورة الفيل؟ في بعض السور تقرأ (**ألف لام ميم**) وفي الأخرى تقرأ (**الم** ..) ما يدل على أن الأمر توقيفي، قرأها جبرائيل هكذا على سيد الخلق، ومحمد قرأها هكذا على صحابته، إلى أن وصلت إلينا، فالرسم لا دخل له هنا.

والشيء بالشيء يذكر، فلا يعاب من أحد، ومن من أحد يعاب أو ينكر، فإن أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين -عليه سحابات من الرحمات- ما قال بأن صحابة محمد أخطأوا في كتابة كتابهم، إنما ذكر أنهم -رضوان الله عليهمو- كتبوا المصحف الإمام على عهد عثمان -رضي الله عنهم- بالكتابة التي على عهدهم في زمانهم، وفي رأيي قد وفقهم رب العزة،

هذه الكتابة بالرسم العثماني كان اجتهادا خالصا مخلصا من الصحابة، ليست توقيفية من رب الأرباب.

ولكن هل يكتب القرآن مصحفا كاملا أو بعض الآيات بالرسم الإملائي العادي؟ لم لا لكن المصحف كاملا بالرسم الإملائي المعاصر لا يكون إلا مع إقرار العلماء وإجماعهم.

أما في غير مصحف كامل، آيات معينة فلا ضير في رأيي ومن ناحية أخرى نستأذن شيخنا الشعراوي أن يعاد النظر في الكليمات المختلفات في رسمها أو رسومها فإن أحسنا أو استشعرنا مبررا أو من مبرر في ذياك الاختلاف، كما في: بسم الله، وفي باسم ربك، أبقينا على الرسمين المختلفين في المصاحف، وفي غير المصاحف، وفي الرسم الإملائي المعاصر.

ولكنا في أمثلة لا يظهر لنا ولا يبدو مبرر لاختلاف الرسم ما بين الرسم العثماني والرسم المعاصر في أمثلة عديدة، وقل لي يا أخا بني يعرب ﴿بُرَءَٰٓؤُاْ﴾ [الممتحنة: ٤] بهذه الصورة؟ وما ضر -يا أخي- لو انكتبت بهذه الصورة (**برآء**) وهل هنا مبرر في أي أفق لكتابتها على الصورة الأولى.

عثمان -رضي الله عنه- قال كليمة مهمة بالغة الأهمية القصوى هي: "إني أجد فيه لحنًا ستقومه العرب بألسنتها" كان

تعليقه على العمل الذي قامت به اللجنة التي كتبت المصحف الإمام، أو المصاحف التي أرسلت إلى الحواضر الإسلامية، مكة والشام والكوفة والبصرة والذي بقي في المدينة المنورة أي: المصحف المدني- المصحف المكي- المصحف الشامي **(الدمشقي)**- المصحف الكوفي- المصحف البصري.

عبارة عثمان تعليقا على عمل اللجنة برئاسة زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه وما أرى في العبارة العثمانية ما يحتاج إلى تأويل، وذاك أن الرجل لا يقصد بالضمير **(فيه)** أنه عائد على القرآن، أو نص القرآن، إنما يقصد الكتابة أو الرسم العثماني الذي تم على عهده في حياته، والذي كتبت به المصاحف، إنه تعليق على العمل برمته -أي عمل الكتابة- بأن في هذا العمل ما سوف تقومه العرب بألسنتها أو بنطقها.

إن هذه القولة المقولة تؤكد أن المعول عليه في قراءة القرآن -إنما هو- على الحفظ في الصدور، لا الكتابة على السطور، إن المحفوظ في الصدر هو الأصل، الأصل النطق والقراءة والمشافهة، هو الأصل الأصيل المؤصل -بفتح الصاد وكسرها- الكتابة هي أصل أصولها صورة للنطق والقراءة، وفرق بين الأصل وبين الصورة، بين التصور والحقيقة كما الفرق بين الأرض وبين الخريطة المصورة لتيك الأرض، بين المكان وبين الخريطة التي تصور ذياك المكان.

لكن هل اللحن معناه الخطأ؟

كلا، وهذا سوف نوضحه في مكان آخر، نفصل الكلام فيه عن مفهوم الخطأ.

نعود مرة أخرى إلى ملحظة بارعة من ملاحظ شيخنا –رحمه الله- بادية الذكاء والإلماح والألمعية هي:

يورد ما قيل قبل، إننا إذا اعتمدنا على الرسم فقط رأينا بداية سورتي الشرح ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ والفيل: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾؟؟ فكيف تفرق بين بداية السورتين، وبين بداية سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أو في مفتتح آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾؟ إنك لا تستطيع تقرأهما: **{الم}** كما في افتتاح الشرح والفيل، إنما تقرأ بدء البقرة وآل عمران **{ألف، لام، ميم}** مقطعة هكذا هكذا.

أنا لا أعارض هنا شيخنا الجليل –رحمه الله- إنما أضيف هنا أمرين اثنين هما:

الأول: قولة الرسول –ﷺ- لا أقول: ألف لام ميم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

هذا توكيد –شيخنا الجليل- من سيد الخلق على استقلالية كل حرف من ثلاثية (**الم**) خاصة خاصة في القراءة، ما يختلف عن بدايتي الشرح والفيل.

والثاني: الذي أقول –يا شيخنا العظيم- جاء في الإتحاف[١] للبنا الدمياطي بتصرف منا قليل: "وأما السكت على حروف الهجاء في فواتح السور: الم- الر- كهيعص- طه- طسم- يس- ص- ق- ن- سكت أبو جعفر- يزيد بن القعقاع[٢] شيخ الإمام نافع[٣] بن أبي نعيم- رحمكما الله- سكت على نهاية كل حرف منها)

لقد بينت هذه القراءة المروية عن أبي جعفر –وهو من القراء العشرة- بهذا السكت أن الحروف المقطعة أوائل السورة -هنا- كلها ليست للمعاني كالأدوات للأسماء والأفعال، بل هي مفصولة، وإن اتصلت رسما وأوردت مفردة من غير عامل ولا عطف، ولهذا نظائر في عربية بني يعرب، وما هي هاتيك النظائر يا كويتب هذه السطور؟

---

(١) ص ٦٣.
(٢) قراءته عشرية، أي من الثلاث المتممة للقراءات العشر ت ١٣٠هـ.
(٣) قراءته سبعية، فهو من القراء السبعة ت ١٦٩هـ.

ولكن قل ووضح ما هو السكت، وما مفهوم ذياك السكت؟

إن السكت وقف وسكون بلا حركة، لكن يختلف عن الوقف بغياب النفس أثناءه، إذ الوقف فيه تنفس، السكت وقف خلو من التنفس.

والآن أين نظائر ما جاء ساكن الآخر في عربية بني يعرب، دون إعراب ولا تنوين؟ كما في الوقف الذي يحجب كل إعراب وكذا التنوين، تقول:

- جاء الرجلْ.

- رأيت الرجلْ.

- مرتت بالرجلْ.

ولا تقول -ألبته، بتة، بتة- فيما سبق وأضرابه:

- جاء رجلٌ.

- رأيت الرجلَ.

- مررت بالرجلِ.

مرة أخرى ما هي النظائر، أي للحروف المقطعة في مفتتح السور؟ هي:

١- حروف العجم حين تنطق مفردة، تقول: ألفْ، باءْ، تاءْ، ثاءْ إلى: واوْ- ياءْ، ولا تقول: ألفٌ- باءٌ- تاءٌ- واوٌ- ياءٌ، وهكذا فإن أدخلت أي حرف في جملة نونت وأعربت:

- هذه ألفٌ رائعة.

- هذه ميمٌ ما أجملها.

- تيك ياء راجعة.

٢- الأرقام عند العد: واحدْ- اثنانْ- ثلاثةْ- أربعةْ... إلى: تسعةْ، عشرة، أو: واحدةْ، اثنتانْ- ثنتانْ ... تسعْ عشرْ.

إذن في الوقف لا إعراب ولا تنوين، وكذا في حروف العدد حين تنطق مفردة، وكذا حروف المعجم عند نطقها مفردة، إلا إذا دخلت في جميلة كما سبق.

مرة أخرى نعود إلى رسم المصحف الذي رأى شيخنا المهيب أن ذياك الرسم كان توقيفيا، وهي من عند الله، في حين ارتأى أستاذنا الدكتور عبد الصبور أن هذا الرسم هو عمل بشري بحث، قام به صحابة محمد، على عهدهم، وفي زمانهم، طبقا لما كان عندهم من كتابة، صحيح أنه لم يك توقيفيا، وإن كان الله وفقهم في هذه الكتابة، وهم قد اجتهدوا في هذا غاية الاجتهاد والوسع.

صحيح أن الصحابة –رضوان الله عليهم- كانوا أمام الله ورسوله قامات عليه وقيما سامقة، ولكنهم من ناحية المعاش والمعيشة غاية في البساطة والتواضع، فهذا سيدهم محمد، وسيد الأولين والآخر والإنسان والجان، يقول في تواضع جم:

- اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين.

- إنما أنا عبد الله ورسوله.

وعودة مرة أخرى إلى قولة عثمان السابقة لنعيد ما أشرنا إليه قبلا من أن ابن عفان كان يشير إلى مثل الاختلاف ما بين فاتحة البقرة وآل عمران وما بين افتتاح الشرح والفيل.

وما يدرينا –نحن المجاحشين عن عثمان -رضي الله عنه- أنه قصد هذا المثال وأضرابه من مخالفة الرسم، لقد حل لسان العرب ونطقهم هذه الإشكالية وأمثالها، مثل ماذا يا سارد السطور؟

مثل قوله تعالى على لسان نوح –عليه الصلاة والسلام- لابنه: {يا بني اركم معنا} بإدغام الباء في الميم، أي: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ بالميم، لقد صحح العرب بألسنتها **(لهجاتها ولغتها)** ونطقها وقراءتها هذا الإشكال ولذا كنا ونحن صغار

نحفظ القرآن في الكتاب نعجب كيف تنطق ميما وقد انكتبت بالباء، فالحق والحقيقة المحققة أن المعول على الحفظ والقراءة، لا على الرسم والكتابة، ولا فض فوك ولا فض الله فاكا أيها الخبير النحرير(١)، رحمة الله عليك.

ولتسمح لنا -يا شيخنا- أن نسر في أذن القارئ الكريم شيئًا، هو أن الرسم المصحفي الآن والذي به تكتب المصاحف ليس هو الرسم العثماني الذي انكتبت به المصاحف على عهد عثمان، أو ما يسمى بالمصحف الإمام، وإنما المصاحف تكتب الآن بما يسمى بالرسم المصحفي، أو رسم المصحف، فهل هناك فرق بين الرسم العثماني في عهد ابن عفان وبين الرسم المصحفي الآن؟ هل هناك من فرق بينهما؟

الرسم العثماني: الذي كتب به المصحف الإمام في عهد عثمان بن عفان الذي أشار إليه بأن فيه لحنا ستقيمه العرب بألسنتها وقراءتها المنطوقة.

---

(١) مثال آخر، هو كلمة (آمين) التي نتصورها كليمة من القرآن الكريم، فقد نسمعها خاصة في الصلاة الجهرية من الإمام والمأموم والمصلين في كل مرة، فلما ذهبنا إلى الكتّاب رأينا الشيوخ يقرؤونها الفاتحة خلوا من (آمين) ثم عرفنا بعد ذلك وتأكدنا أنها ليست من القرآن، ولا من الفاتحة، قالها جبرائيل وقلده المصطفى -ﷺ- ونحن قلدنا رسولنا، وأخذناها سنة عنه ومحبة.

الرسم المصحفي الآن: الآن قد دخلته عدة تعديلات على الرسم العثماني، مثل:

- نقط الشكل الذي تحول إلى فتحة ألف صغيرة مضجعة.

- والضمة إلى واو صغيرة على الحرف.

- والكسرة إلى ياء صغيرة راجعة ثم شرطة تحت الحرف.

- علامة السكون رأس خاء صغيرة ـبدون نقطة- فوق الحرف /حـ/.

- رأس شين اختصار سكون شديد، بدون نقط، هكذا /س/.

- رأس صاد على ألف الوصل أو همزة الوصل اختصار (وصل) هكذا / ٱ /.

- رأس عين على ألف القطع (**همزة القطع**) هكذا: /عـ/ هي رأس عين.

الرسم الإملائي: الحديث الذي يكتب به الناس الآن قد اختلف وانقط وأنقطع عن الرسم المصحف السابق بإدخال تعديلات أكبر على الخط، في حين تحرج العلماء عن إخال باقي التعديلات على الرسم المصحفي مثل:

- رمز السكون الخاء بدون نقط تحول ذياك الرمز إلى دائرة في الهجاء الحديث.

- استغنى الهجاء الحديث عن رأس الصاد التي كانت في الرسم المصحفي.

- آخر ما نقول هنا، هو علامات الترقيم: الفصلة(١) والنقطة والنقطتان، علامات الاستفهام والتعجب والشرطية للجمل المعترضة ... إلخ إلخ إلخ.

ومع وافر التقدير والتبجيل لشيخنا فلم لا نراعي المصاحف والقراءات والروايات، فمثلا في نهاية سورة التحريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ قرئت كلمة وكتبه بالجمع، كما في مصحف حفص **(وروايته)** في حين قرئت بروايتي ورش وقالون بالإفراد أي: **(وكتابه)** بألف مد، إلا أنها انكتبت بنفس الرسم **(كتبه)** بزيادة شرطة على التاء رمزًا للألف المدية، فما ضر لو انكتبت بهذا الشكل **(وكتابه)** بالإفراد.

---

(١) كثير من الناس يكتبها بألف، هكذا (فاصلة) وهو خطأ، وخطل، وهم ووهل، أما (الفاصلة) فهي الفاصلة القرآنية، نهاية الآيات أو من الفاصلة في التفعيلة العروضية، في علامات الترقيم فصلة فصلة.

ولم لا ندخل علامات الترقيم، خاصة عندما نكتب خارج المصحف الشريف، أما في المصحف فهو يحتاج إلى نظر العلماء واجتهادهم.

فمتى أدخلت علامات الترقيم إلى عربية بني يعرب، ومن أشار بها؟

يحكى أن معالي أحمد حشمت باشا وزير المعارف العمومية في مصر بداية القرن الماضي قد كلف شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا (١٨٦٧م -١٩٣٢م) بإدخال علامات الترقيم في العربية ووضع الأسس والقواعد، فكان هذا في رسالة (الترقيم وعلاماته باللغة العربية) وقد طبعت هذه الرسالة ١٩١١م، كما أقرت وزارة المعارف العمومية في المدارس علامات الترقيم هذه، ثم أقرها مجمع اللغة العربية القاهرة ١٩٣٢م.

كان العلامة أحمد زكي عضوا بمجمع اللغة العربية في دمشق الذي أسسه الملك فيصل ١٩١٨-١٩١٩، أما مجمعنا في القاهرة فقد أسس عام ١٩٣٢م، وبدأ العمل به ١٩٣٤م في عهد الملك فؤاد الأول.

وكان يرأسه أولا الأستاذ محمد توفيق رفعت، ثم الأستاذ أحمد لطفي السيد، وتلاه الدكتور طه حسين، وأخيرًا رأسه

الدكتور صلاح فضل (توفي في ٢٠٢٢/١١/١٠م) بانتظار رئيس جديد للمجمع.

السين
مادة:
(س م و)

السماوات السبع:

يروى الشيخ أنه في أول العصر الحديث كانت فتنة وقع فيها كبار العلماء، عندما اكتشفت الكواكب السيارة السبعة قال هؤلاء الكبار هذه هي السماوات السبع التي عنها تحدث القرآن.

ولكن الاكتشافات العلمية جاءت متواترة تترى ليزيد العدو عن سبعة؟! تزايدت وتزايدت لكن في نطاق السماء الدنيا، أو الأولى، برغم ضخامتها، وجاء الشيخ بمعلومات مهمة وأرقام وإحصائيات ضخمة، حتى قال: إن القمر ضاحية من ضواحي الأرض، كل هذا الذي سبق كان جريا وراء الظن والنظريات التي لم تثبت ولم تؤكد، لكن إن قارنت تعارضا مع الحقيقة العلمية الكونية.

وهذا مثال آخر، عندما صعد الإنسان إلى الفضاء قال القائلون إن قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن: ٣٣].

هذا يعني أن السلطان في الآية هنا هو سلطان العلم، ويرد الشيخ: أين العلم حين عرج رسول الله إلى السماوات العلى؟

ويضيف شيخنا إن هذه الآية في سورة الرحمن هي أقوى دليل على أن عملية المعراج هي معجزة تأييد من الله لسيد

الخلق، بسلطان الله وقدرته، لا سلطان العلم، فكلمة (**بسلطان**)= بسلطاني أنا الخالق- لا بسلطان علم المخاليق.

وأضيف: إن الشيخ محق تمامًا في أن (**بسلطان**) هي - في أصلها- بسلطاني بياء المد، هي ياء الإضافة المفيدة للملكية، حيث إن الفاصلة في سورة الرحمن هي النون، وهو ما برر أن تتحول ياء المد، وهي حركة طويلة، أو كسرة تنكمش إلى حركة قصيرة.

وبما أن الوقف في القرآن وفي النثر العربي لا يكون على حركة قصيرة التي تحذف عند الوقف، كما في سورة الرحمن أو غيرها، لاحظ:

- الرحمنْ.
- علم القرآنْ.
- خلق الإنسانْ.
- علمه البيانْ.

إلى آخر السورة:

- فبأي آلاء ربكما تكذبان.
- تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرامْ.

وقد استدل الشيخ بمقارنة حقائق القرآن بحقائق العلم في بما يلي:

١- عندما كنا نقرأ -ونحن طلاب- أن الأرض كروية، كنا نجتهد في سرد الأدلة، لكنا الآن لم نعد بحاجة إلى شيء من هذا لماذا؟ لقد صورت أرضنا عن بعد ومن الأفق البعيد عنا، ورأينا صور الأرض مكورة، وليس بعد رؤية العين عيب، أو عين.

٢- عرفنا أن الغلاف الجوي جزء من الأرض، يسير معها، ليس عنها بمنفصل، فإذا استخدم القرآن حرف الجر (في) بدل (على) عند السير على الأرض، كما في: {قل سيروا في الأرض} هنا عرفنا وتوكدنا أن التعبير دقيق دقيق، مع حقيقة أن الغلاف الجوي جزء لا يتجزأ من أرضنا، ومن ثم كان التعبير: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ و﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] ومعنى ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ مناكبها أي الأرض، أي: جوانبها ومن ثم جاء حرف الجر **(من)** وليس على، إذن هنا توازنت

الحقيقتان وتطابقتا، الحقيقة القرآنية، والحقيقة الكونية العلمية[1].

ونختم الحديث عن مفهوم السماوات السبع بأن السماء هي كل ما علاك وأظلك، والسماوات السبع -في رأينا- هن سبع على سبيل حقيقة العدد، أي السماوات السبع ما تزيد ولا تنقص، فما تدل على الكثرة والتعدد، بل هن سبع على سبيل الحقيقة، أي حقيقة العدد.

(١) راجع كتابنا: الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي، ص ٤٣ وقبلها.

مادة:

(س و ر)

السور والآيات:

من يحدد بدأها ونهوها وتسمية سورها؟؟ فالذي سمى السور هو سيدي رسول الله -صلى الله عليه وآله- كان يقول: ضعوا هذه الآية -أو الآي- في سورة كذا أو في سور كذا.

فمن يحدد بدء الآية /الآي، من البدء والنهاية، في بدئها ونهوها، أو انتهائه؟ من؟ إنه سيدي رسول الله في قراءته أمام صحابته -رضوان الله عليهم- الذين نقلوا هذا إلى التابعين، والتابعون نقلوا -كما سمعوا- إلى تابعي التابعين، وهكذا جيلا عن جيل عن جيل حتى وصلنا إلى الآن، خاصة بعد كتابة القرآن على عهد عثمان -رضي الله عنه- بإشراف الصحابة وموافقتهم وإقرارهم، وكامل رضاهم.

هذا التقسيم للسورة وذياك التوزيع للآيات كان من عند رسول الله -ﷺ- خاتم الرسل، سيد العرب والعجم، سيد الإنسان والجان، وبموافقة من رب العزة، فإن الله -رب العزة- لم يعاتب أو يراجع رسوله في هذا الأمر.

إذن فالمسالة في توزيع الآيات توقيفية، أقره الوحي، ولذا وجدنا حروف المباني المفتتحة للسور، مرة جاءت الحروف وحدها في آية مستقلة عن باقي الآيات التي بعدها، ومرة هي

وما بعدها في آية مشتركة مع ما بعدها، انظر في السور وبداياتها:

- **في البقرة:** ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ **{الم}** آية وحدها، وما بعدها آية ثانية.

- **في ص:** ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ حتى ليست آية مستقلة -كما في البقرة مثلا- بل هي وما بعدها في آية واحدة، ليس في آيتين، ويمكن أن نرجع إلى تفصيلات هذه النقيطة في كتابنا: (**الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي**[1]) وما سبق بفتح الطريق ويثير الشهية نحو هذا التساؤل: بأن القرآن الكريم بسوره وآياته هو هو في جميع الروايات والقراءات واحد ومحدد، لا يزيد ولا ينتهي في رواية عن أخرى، ولا في مصحف عن مصحف، ولا في قراءة عن قراءة، فلله المنة والحمد.

ولكن يا عزيزي القارئ إن عديد الآي وعدد الآيات يمكن أن يختلف -زيادة أو نقصا- في بعض الروايات أو المصاحف عن نظيراتها / نظائرها؟ كيف كان ذلك؟ أنا أقول لك، وأسرد؟ قل لي -يا كويتب السطور- وعجل وعجل:

(١) انظر ص ١٦٠ وقبلها.

قد قارنا بين ثلاث روايات في عدد السور هذه الروايات هي:

- رواية ورش عن نافع.

- رواية قالون عن نافع.

- رواية حفص عن عاصم.

فاتضح ووضح لي ما يلي:

إن الرواة الثلاثة اتفقوا -ثلاثتهم- في ٦٤ سورة من سور القرآن البالغة = ١١٤، يعني اتفقوا في عدد أكثر من نصف سور الكتاب الكريم، والباقي –الأقل من النصف اختلفوا في عدد آيات بعض السور، وعديدها= ٥٠ سورة فقط، وهذه ملاحظنا:

- ما اختلف فيه من عدد آيات السور، هو الأقل، والمتفق فيه هو الأكثر كما رأينا.

- إن الاختلاف في عدد آيات السور هو في معظمه في عدد واحد، أو اثنين، وهو على الأكثر في ثلاث آيات، لا يزيد اللهم إلا في سورة الكهف، قد جاء الاختلاف بين الروايات الثلاث في خمس آيات عددا وعدا.

- إن السبب في اختلاف العدد بين هاتيك الروايات ليس زيادة أو شيء من نقص، وإنما كما جاء في الحروف المقطعة أوائل السور، حروف المبنى، هو اعتبار الوقف والابتداء، كما سمع من رسول الله، وكما سبق في الحروف أوائل السور.

وفي باقي السور -كما ذكرنا- نفس الشيء، ففي سورة الفاتحة: عدد آيها ٧، سبع آيات في الروايات الثلاث، ولكن؟ آه منك يا: **(ولكن)**؟ عدد الآي في السورة لدى الرواة الثلاثة واحد؟ نعم.

ولكن السورة= ٧ آيات عند حفص، البسملة هي الأولى، والثانية: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

وفي روايتي قالون وورش البسملة ليست الآية الأولى، بل الآية الأولى هي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فأين الاختلاف إذن يا صاح؟ في الروايتين عن نافع، الآية الأخيرة السابعة -بالعين لا بالقاف- هي أطول منها في حفص، كيف كان ذلك؟ في الروايتين الآية: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الآية الأخيرة، نفس هذه الآية الأطول هي في الروايتين عن نافع: **(قالون وورش)** هي آيتان:

- الآية السادسة من السورة ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

- الآية الأخرى السابعة هي: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

إذن في رواية ورش ورواية قالون الآية الأخيرة السابعة، وقبلها السادسة في حين إنك تجدهما آية واحدة في رواية حفص.

- سورة الأنفال:

وهذا مثال آخر على الاختلاف بين العدد في السور عند قالون وورش وعند حفص جئنا به من هذه السورة الأنفال، كما يلي:

الآية رقم ٤٢ من السورة في رواية حفص التي تبدأ من قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ هذان الجزآن هما آية واحدة فقط، في حين هما في روايتي ورش وقالون هما آيتان ثنتان، آية ٤٢، وآية ٤٣ كما يلي:

- الآية ٤٢: ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾

- الآية ٤٣: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

وكلتا الآيتين ٤٢، ٤٣ في روايتي ورش وقالون هما هما -بالكلمة والحرف- نفس الآية رقم ٤٢، دون شيء / شيء من نقص أو زيادة، وهكذا كل السور التي اختلف في عديدها بين الرواة الثلاثة[١].

(١) راجع تفاصيل القصة في كتابنا: (الخصائص الصوتية في رواية ورش المصرية ...) من ٢٤٤ وقبلها.

مادة:
(س و ق)

السياق:

تحدث الشيخ –رحمه الله- عن بعض المشككين الذين حاولوا اتهام الرسول بالخطأ، ومنها:

- زواج محمد من مطلقة متبناه زيد بن حارثة.

- عبس وتولى عن ابن أم مكتوم، عندما جاءه هذه الأعمى.

- أسرى بدر.

إن شيخنا يرى أن محمدًا لم يصدر رايه عن هوى مائل، كلا، وإنما عن رأي بشري قابله حكم إلهي.

لقد كان عتب الله على رسوله عتب محبة وإشفاق إلا عتب لوم وملامة، كما تقول لابن لك يرهق نفسه في المذاكرة فتأمره بالكف عن السهر والمذاكرة، إنه عتب له، لا عليه، فإن أمر الرجل ابنه المهمل بالجد في المذاكرة، فهذا عتب عليه، لا له.

سيدي من المفيد الإشارة إلى أن ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ كان ذياك العبوس في وجه أعمى، ما رأى شيئا من عبس أو تولى، ومن ناحية أخرى –يا شيخنا- لعل ما حدث

كان تعليما لنا -نحن البشر- بأن نتقبل النقد والمراجعة في أي أمر.

مع توقير وتبجيل ما قدمه شيخنا، فإنا مع السياق وله دور مهم في فهم الكلام، ومن هذا السياق العلاقة بين المتكلم وبين المخاطب، وهذا مثال على ما سبق من مثال، كيف كان ذلك؟:

ما كان بين الزعيم عيينة بن حصن وبين سيد الخلق، هذا العيينة بن حصن استقل نصيبه من الغنائم والموسوم بالأحمق المطاع، عندما اعترض قال سيد الخلق لسيد العرب ابن أبي طالب: «**قم أنت يا علي فاقطع لسانه**» لما قال لأصحابه: اقطعوا عني لسانه، فقام ابن الخطاب يهم إلى شفرة في وسطه ليسلها فيقطع لسانه.

انظروا إلى قولة المصطفى: اقطعوا عني لسانه استخدم حرف (عن)+ ياء المتكلم، وعندما رأى ما فعل عمر من الهم باستخدام الفعل (اقطعوا) على سبيل المعنى القريب طلب محمد من ابن عمه أن يقوم بما يريد.

وبالفعل قام على ممتثلا الأمر المحمدي، وهنا ارتاع الرجل قائلا لعلي: أوقاطع لساني يا أبا الحسن؟! قال علي: إني لممض فيك ما أمر ...؟!

ماذا فعل أبو الحسن، وكيف قطع لسانه؟ لقد أخذ الرجل إلى إبل الصدقة، فقال له: خذ ما تشاء فقطع لسانه عن سيد الخلق.

إن السياق هنا، وفيه العلاقة بين الرسول وبين هذا الرجل -من المؤلفة قلوبهم- قد وجهت معنى قطع اللسان عن محمد إلى إرضاء الرجل وقطع لسانه التذمر واللوم لدى ذياك الرجل، وقد فهم ابن أبي طالب هذا؛ لأنه عاش طفولته في كنف محمد ورعايته، فكان يفهم عنه بشكل أسرع عن غيره وأيسر.

فإن مرحلة الطفولة ترسخ في أذهان الراشدين، هذه المرحلة تسسم بذاكرة قوية لماحة، وتركيز معمق، وكذا كان أمير المؤمنين -علي- يفهم إشارة الإشارة من ابن عمه بحكم طفولته معه، ورعايته له[1].

(١) السابق، ص ٣٧ وقبلها.

الشين:

مادة:

(ش ر ط)

الشرط والجواب: أو الدافع والواقع ـكما عرضه الشيخ- الذي بدأ المسألة بسؤال **(ما معنى نعبد؟)** ويجيب: على كل شيء وسببه يقول الناس: هذا شرط وذاك جواب، إن تذاكر ـ يا غلام- تنجح، أين الشرط، وأين الجواب؟

الشرط **(تذاكر)** والجواب تنجح، كلتا متفق على أن الشرط سبب في النجاح، المذاكرة سبب في جلب النجاح.

ويعقب المشيخة بأن هذا ظاهر العلم وبادهة لكن حقيقة العلم ليست كذلك لماذا؟

أنت تتكلم عن الواقع، لكنك أهملت شيئا أساسيا في عناصر حركة الإنسان في هذه الحياة، وهو الدافع قبل الواقع، أنت تقول: إن تذاكر تنجح، هذا هو الواقع، لكن هو ذاكر لينجح؟! أي إن النجاح انتهى في ذهنه أولا بكل مميزاته، ثم ذاكر ليحقق هذا النجاح في الواقع.

إذن فكل شرط يقع بين جواب واقع بعده، ولكن كدافع يأتي قبل هذا الواقع، أي إن النجاح كدافع موجود قبل المذاكرة، وكل شرط يأتي واسطة بين دافع وبين واقع، كيف؟ يفسر المشيخاء:

أنا ركبت سيارتي للذهاب إلى الإسكندرية، ركوب السيارة سبب، قطع الطريق سبب... إلخ، فأنا عندما أركب

وأذهب، فهذا سبب في الوصول، لكن الوصول أو تصور الوصول وجد أولًا، ثم جاء الشرط ليحقق الغاية، بعد أن كانت دافعًا أصبحت واقعًا وكذلك كل سبب وكل مسبب وكل علة، وكل معلول، فإذا انتهينا إلى هذا الفهم رأينا أن قول الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ومعنى ما سبق من الآية أن علة الخلق هي العبادة، إذن فهذه العبادة تأتي أولًا، أي الدافع للخلق، ثم يخلق الخلق لتتحقق العبادة، فالمراد الأعلى من الخلق العبادة، ففرق بين الدافع وبين الواقع، هذا رأي الشيخ.

العين:

مادة:

(ع ب د)

العبيد والعباد:

فرق مشيختنا بين (**ع ب د**) التي سيشتق منها (**عبيد**) وبين (**ع ب د**) التي سيأتي منها (عباد) فكل الخلق عبيد لله عند اختبار الله لهم ـهو وحده- في عديد منه نواحي الحياة التي لا اختيار للمخلوقين فيه، مثل:

- متى يولد المخلوق؟

- كيف يولد؟

- كيف يولد؟

فهو مقهور في مثل هذه الأشياء، وهو عبد لله مثل جميع المخلوقين، ومن ناحية أخرى فإن رب العزة يريد من بعض العبيد أن يكونوا (**عبادا**) فما الفرق؟

العبيد متساوون فيما يقهرون عليه، لكن (**العباد**) منطقة الاختيار فيهم، فواحد يطيع، وآخر لا يطيع، وكل باختياره الحر لمراد الله -ربه- في التكليف نقول له: (**أنت من العباد**) ولكن كلنا كلنا لله عبيد في منطقة الإجبار والخضوع.

ولذا يقول الله: {**وعباد الرحمن؟**} من همو؟

- الذين يمشون على الأرض هونًا.

- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]

- ... إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

إحدى عشرة آية من سورة الفرقان –وهي مكية- في المرحلة المكية من نزول الفرقان عددت هذه السورة المكية النزول صفات عباد الرحمن، عدا وإحصاء مفصلا تفصيلا ويعقب المشيخاء على الآية السابقة ليقول: من أجل هذا قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [آية ٥٣].

قال الله: **{يا عبادي}** أي: ما دمتم عبادي... لأنكم دخلتم في منطقة **(العبادية)** لا العبيد، إذن فإن من يأتي ربه بالحب والرغب والطاعة –وهو قادر على العصيان- فهو من العباد، لا العبيد.

فحين يقول رب العزة حقا وصدقا: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ أيريدهما -الإنسان والجان- عبيدا أم عبادا؟ إنه يريدهما عبادا لا عبيدا وإلا لو أراد ربهم أن يجبرهما

ويقهرهما على شيء لما كان بمقدور غيره أن يمنع مراد الله وإرادته.

إن الله لا يريد قوالب متشابهة نمطية آلية، إن الله يريد أن يخضع القلوب بالحب والاختيار، لا بالقهر والإجبار، لأن إخضاع القالب يأتي من مثلي ومثلك -نحن المخاليق- إذ نسطيع بالتهديد والوعيد أن نجبرك على السجود لأحدنا أو ما / من نريد، أو تهتف بحياته، لكن لا أحد يسطيع يمتلك قلبك.

فإن الله يريد القلوب، لا القوالب، ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٣-٤].

إن أردت -يا محمد- أعناقا تخضع وأجسادًا تركع فهذا ممكن ميسور، بدليل أن الله أجرى على البشر أعمالا قسرية ما يسطيع واحد تجنبها أو القرار منها أو الفكاك.

هذه هي المهمة، أي إن نكون عبادًا ليتحقق محبوب الله فينا ولنا ومنا؛ لأنه لو أرادنا غير هذا لفعل، لكنه تركنا مختارين إذ المخلوق لا يسطيع فعل شيا/ شيئا يأباه الخالق، ولا يريد، فمن سرق -أو عصى ربه- ما عصى وما سرق رغما

عن خالقه، وإنما عمل عملا لا يحبه الله، إنما أعطاه الاختيار ليسرق أو لا يسرق.

العبودية للخالق وحده:

ليس للمخاليق، فارق شائع بين العبودتين، كيف؟ يقول شيخنا –رحمه الله-: في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد غيرك، وهذا يعني الخضوع لواحد فقط فقط، لا غير، فهذا الكون مزدحم بمواهب وقوى متعددة، وكل موهبة لها قيمة وعكسها، على درجات من القوة والتأثير، مع العاطل الخالي من تيك الموهبة أو هي عنده ضعيفة متهافتة.

فما يكون موقف ذياك الضعيف من المواهب الأخرى إن هذا الضعيف سيخضع لها أو لبعضها مع تكرار لهذا الخضوع أي سيخضع بعضنا لبعض حتما لزما لزاما، لكن الله، لكن الله يرحمنا من هذه (**الخضوعات**) المتعددة المتكررة للمخاليق إلى الخضوع للإله الواحد الأحد فقط، محررا لك من الخضوع لسواه.

إن الله ضيق عليك دائرة العبودية، إذ هي عبودية أورثت حرية وعزا، فإني إن عبدت الله وحده، فلا يهمني الأقوى مني والأعلى والأغنى ... إلخ، فهذه الحرية تتسع إلى إن السجود لله الأحد سيغنيك عن السجود لهذه الآلهة المتعددة المختلفة، ولذا قال الشاعر:

فهذا السـجود الذي تجتويه به من ألوف السـجود نجاة[1]

ويشير الشيخ إلى أن الإنسان قد يخضع لواحد، وفجأة فجأة يموت هذا الواحد، ولذا يعلمنا القرآن النصاحة والحصافة، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ٥٨] كن عاقلا، لا تتكل إلا على الله، الحي الذي لا يموت، لماذا؟ لأنه حي لا يموت، ومن ناحية أخرى فأنت تخضع لله كي يمنحك ويعطيك ولا يأخذ منك شيئا، هذا هو الفارق بين الخضوع لله ليعطيك، وبين الخضوع للبشر كي تعطيهم أنت، ولا تأخذ أنت منهم شيئا، بل ربما يخدعونك أو يستغلونك، أو يسببون لك من المتاعب ما ليس لك قبل بها.

كلمة العبودية التي كرهها الناس من فرط طنطنة بعض الناس حولها هي التي جعلتنا نكرهها، لأنا لم نفهمها إلا في إطار العبودية للبشر غافلين عن العبودية لخالق المخاليق والبشر إذن فالعبودية لله عز، ينسخ ويحجب كل ما في عبودية غيره، أنشد الشيخ:

حسـب نفسـي عزا بأني عبد يحتفى بي بلا مواعيد ربي[2]

---

(١) البيت الشاعر الباكستاني العظيم محمد إقبال ١٨٧٣-١٩٣٨م والبيت من بحر المتقارب:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن.

(٢) البيتان من بحر الخفيف:

هو في قدسه الأعز ولكن ألقى متى وأين أحب

يسطيع عباد الله بمجرد أنه يرفعوا أيديهم مع تكبيرة الإحرام أن يلتقوا ربهم محددين الزمان والمكان والوقت، في بدئها ونهوها، يخرج ملتقى ربه متى يشاء من لقياه، ويبدأ متى يشاء، يدعو ربه بما يشاء، دون محظور أو محذور، لا يمل حتى تملوا.

فإن أردت مقابلة أي مسئول أو متنفذ قابلك الحجاب والحاشية والحرس بسيل من التحقيقات والتساؤلات: (**من أنت، ماذا تريد؟** ... إلخ) قد حددوا لك الزمان والمكان والوقت والساعة والوقت المسموح به، وفي أي موضوع تتكلم؟؟ ثم تدخل على المسئول، قد يسمع، وقد لا يسمح ـبالعين والحاء- وقد يفض المقابلة بنعومة وأدب أو يصافحك منهيا المقابلة، وقد يطرد مقابله شر طرده.

لكن الله يعطيك الحرية الكاملة في كل ما سبق، لا يطردك ولا يلغي أو ينهي المقابلة، إلا إذا أنهاها عبد الله المخلوق، فرق وفرق.

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

لكن في البيت بعض التعديل (النقص) في: (فاعلاتن) وفي (مستفعلن) راجع كتاب أستاذنا الدكتور أمين السيد: في علمي العروض والقافية، القاهرة ١٩٩٩م، من ١٢٠ وبعدها.

إذن إياك نعبد، هذا المبتدأ الذي يعز في البشر دومًا، لكي يرحمنا الله من عبودية للبشر أمثالنا، لأن كلنا صنعته، وهم عنده سواء، شعار الخالق ومنطقة: لا أحد يستذل أحدا من عبادي وأنا موجود.

كما يقول كل رجل في أسرته ـ عندما يستذل القوى منهم الضعيف، والكبير منهم الصغير، فيصيح في الجميع: لا أحد يهين أحدًا- أو يستقوي عليه ـوأنا موجود- عندما أموت ـأو أغادركم- افعلوا ما تشاءون، لكن في حضوري، لا وألف لا.

فالله لا يذهب ولا يغادر، فهو ـكما وصف نفسه- القيوم، لا تأخذ سنة ولا نوم ... إلخ.

إذن فالله دائم العز فينا ولنا، والخلاصة أن تخصيصه بالعبادة عز وراحة، حتى تنصرف طاقتنا فيما ينتج ويفيد، وليس في الخوف والرعب والرهب، والتراعب فيما بيننا، ومن كره المتسلطين المتسلطنين علينا، فالله يريد قلوبا صافية، هذا الصفاء الذي لا يأتي إلا من: {**إياك نعبد**}، {**إياك نعبد**} وليس إياك أعبد: يرى شيخنا الجليل أنه كان القياس أن يقول العبد: إياك أعبد، فلماذا كانت بصيغة الجمع (**نعبد**) لا أعبد، بصيغة المفرد؟

لماذا تحشر نفسك مع الآخرين، وتقول: {**إياك نعبد**} ولا تقول: إياك أعبد؟ هذا من مصلحتك ـأيها العبد المخلوق- لماذا؟

لأن العابدين مختلفون، منهم المقل، وفيهم المكثر، ومنهم المقبول وغير المقبول، فإذا حشرت بين المقبولين حشرت معهم، أي في يوم الدين.

فالله يعلمنا إن كنا مقصرين أن نحتال ـمن الحيلة وليس من الاحتيال- أن نكون مع المقبولين، ندخل معهم؛ حتى نصير منهم، وننال من بركاتهم ففي البيع والشراء يحق للمشتري أن يشترط على البائع خيار العيب، كما نقول في مصر: (**على فرجة**) أي أجرب المبيع أولا فإذا أعجبني أتممت البيع، وإلا رد لصاحبه.

فخيار العيب معناه إن وجد المشتري في السلعة أن يعيدها إلى البائع، أو أن يأخذها على عيبها، لكن لا يحق له أن يعيد بعض البضاعة، ويحتفظ ببعضها الآخر، فالصفقة كلها مع بعضها كاملة متكاملة.

وإذا كان الله يشرع لنا أن الصفقة كلها مع بعضها، فعندما نقول: {**إياك نعبد**} وأنا منحصر بين العباد لعل الله يرحمني ويقبلني ببركة هؤلاء العابدين المقبولين.

لذا لو رأيت إنسانًا أعبد منك فإياك أن تغار منه، ادع الله أن يزيد، لأنك يمكن أن تشملك بركة من هو أعبد منك فتكون معه في الثواب والبركات، ولا تسخر منه عند ما تراه، إنه يجبر تقصيري عند الله، عندما أصلي معه ركعة أو ركيعات أن أثاب معه، فإن ذكر الصالحين ينزل الرحمات فما بالك بمصاحبتهم في عبادتهم.

فإذا رأيت أحدًا مقبلا على الله فلا تقابله بالسخرية أو الاستهزاء[١] لأنه ربما يكون الظل الذي تستظل فيه وبه إلى مرضاة الله؛ فإن الحديث الذي ذكره المصطفى، يقول: إن لله ملائكة طوافة فضل -أي لا شغل لهم إلا هذا الطواف- يتبعون حلقات الذكر -ذكر الله- فيصعدون، فيقول الله -وهو أعلم بما كان-: ما رأيتم؟ رأينا قومًا يجلسون في حلق الذكر، ويعبدونك ويحمدونك يطلبون جنتك، يقول الله: أو رأوها؟ قالوا: لا، قال: كيف لو رأوها؟ ويسألونك أن تعفيهم من النار، قال الله: هل رأوها؟ قالوا: لا، يقول الله: كيف: لو رأوها؟ ويطلبون كذا، ويطلبون كذا، ويطلبون كذا ...، فيقول الله: أشهدكم أنني غفرت لهم.

(١) هذا الاستهزاء الذي يستهين به بعض الناس يؤدي بصاحبه إلى الردة -إن كان سبق له الإسلام، أو الكفر، إن لم يك مسلما، كما قال العلماء-.

ولكن الملائكة -الملائك- لأمانة البلاغ في النقل: تقول كان فيهم من ليس منهم، مر عليهم، رآهم جالسين فجلس معهم، قال الله: هم القوم، لا يشقى جليسهم.

ومن ناحية أخرى فإن: {**إياك نعبد**} تفيد العبد، وفي حياته ودنياه، كيف؟ هب أن العبد المتقي قال: {**إياك أعبد**} فهداه الله وحده، فإن هذه الهداية تفيد غيره في الدنيا، ولكن المتقي إن عبد الله حق عبادته سيستفيد في الآخرة فقط، فإذا اهتدى الآخرون غيره فإن هدايتهم تفيد عباد الله في الدنيا تريحه من الصراع معهم.

وعند اهتداء الآخرين –وأنت أيها المؤمن- يكون الوجود كله منسجمًا مع بعضه، فلا تتصادم حركة بحركة، ولا تتعاندان مثل عامل التحويلة للقطارات –على السكك الحديدية- هذا العامل يفتح لقطار، في حين يغلق الطريق أمام قطار آخر، وإلا اصطدم القطاران.

وإذا تساندت حركات الحياة ولم تتعاند، رضي كل موجود عند الآخرين، وهنا حمد آخر للرب الذي شرح لنا المنهج الذي يحمينا من أهوائنا التي تتصادم.

اقتران الاستعانة بالله بعبادته لماذا؟

لماذا اقترنت الاستعانة بالله القوى القاهر بعبادته، انظر في الفاتحة: **{إياك نعبد، وإياك نستعين}**؟ يرى شيخنا -رحمه الله- أننا إذا عبدنا الله حق العبادة وضعت بذرة الصراع في الكون ضد من ألفوا استعباد سواهم، ولا يرغبون المساواة بين الأناسي، ويحاربون المنهج الذي يعدل بين المخاليق، وغالبا ما يكون هؤلاء المستعبدون لغيرهم من البشر هؤلاء المستعبدون غالبا ما يتمتعون بسطوة وقوة، من حين يكون أصحاب المنهج الحق أقل قوة وأقل سطوة ولعل هذا الضعف من اغتيال كسبهم من جانب أصحاب السطوة والقوة.

ومن هنا فإن: **{إياك نعبد}** تؤذننا بالمناعة الإيجابية فحين يلتزم المتقون العابدون فسوف يتأبى عليهم المستكبرون وعندها يدخل التقاة في صراع مع المستكبرين حتى بلوغ مرحلة القوة، هذا الصراع لا تخف منه، فقط استكمل الأسباب قدر ما استطعت، ولا يهولنك أنك أقل من هؤلاء المعاندين أسبابا فإن قصرت بك الأسباب فلك رب به تحتمي وتستعين، واطلب منه المعونة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فإن كنا -يا رب- نخصك بالعبادة فسوف يقوم صراع بين الحق والباطل، هذا الصراع لدينا أسبابه وأدواته لكنها دون ما عند أعدائنا.

إن قولك: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ وضعت دستورًا لحركة -الحياة- كيف؟ إنك عندما تقول: استعان فلان بفلان، لا يكون إلا إذا كان الأول هنا يعمل ويسعى، فطلب المعونة معناه

استنفاد ما عند المستعين من أسباب، إنك تستعين بالله عند نفاد أسبابك، وإذا كانت أسبابك أقل من أسباب المعاندين فإنك عندما تعبد الله فلن يتخلى عنك، فقط استنفد أسبابك.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] إن الله ما قال: وأعدوا لهم ما يكافئ قوتهم أو عددهم أو عدتهم، وإنما قال: قدر ما استطعتم، واترك الباقي على الخالق ويختم ما سبق بدعائه، نسأل الله -تعالى- أن يبصرنا بمنهجه، وأن يقوينا على تحرير حركتنا من إرادات سوانا.

وأنا –كاتب هذه السطور- أقول بكل تواضع جم، أقول بعد كلام الشيخ –رحمه الله- ما يلي: جاء أعرابي إلى سيدي رسول الله سائلا:

- إلام تدعو؟

- إلى: لا إله إلا الله، وأني رسول الله.

- هذه كلمة تهابها الملوك / تكرهها الملوك، وقال أيضا: إذن تحاربك العرب والعجم[١].

---

(١) لقد فهم الأعرابي بسليقته اللغوية أن هذه الجميلة التي قالها الرسول تعني التحرر من كل عبودية إلا عبودية الله عز وجل.

نعم، سيدي رسول الله، حاربك العرب والعجم، وعن قوس واحدة، كما حكى أحد أصدقائي المخلصين.

وفي سياق نهي الإمام الشعراوي عن السخرية ممن هو أعبد منك، كان قوم من المنافقين -لما خرج رسول الله إلى تبوك- يتحدثون فيما بينهم، ويقولون، أيرى محمد أن حرب الروم مثل غيرهم؟

ولا يرجع منهم -من جيش الصحابة في تبوك- أحد، قالوا هذا على سبيل الاستهزاء، فقال رسول الله لعمار بن ياسر: الحق القوم فإنهم قد احترقوا، فقال ما قلتم؟ قالوا: ما قلنا شيئًا، إنما كنا نقول شيئا على حد اللعب والمزاح، فأنزل الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

إنما الاستهزاء أخو[1] الكفر وقرينه، فهذا الإمام عثمان بن فودي مؤسس إمبراطورية **(صكتو الإسلامية)** في غرب القارة

(١) الوصية الرضية من الراعي إلى الرعية لابن فودي تقديم وتعليق الدكتور أحمد أبو الخير، القاهرة ١٩٩٠م ص ١٥٤.

الإفريقية ـت ١٨١٧م- هذا الإمام يؤكد أن من أصناف الكفر المحقق:

- الشرك.
- الاستهزاء.
- التكذيب.

أحد أساتذتنا كان يشرح الأمر -الاستهزاء- بأن من استهزأ بأية شعيرة من شعائر الإسلام مثل تقليم الأظافر ـوهو من فطرة الإسلام- فقد كفر، أو ارتد عن الإسلام، إن سبق له إسلام صحيح.

وما لنا نذهب بعيدًا أو قريبًا، هذه سورة المطففين جاء في نهاياتها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾(١) هذا الاستهزاء وتيك السخرية من الطائعين عند أداء الشعائر هو أمر منتشر بين عامة الناس في بلادنا وهو كفر صراح بواح، وإجرام ظاهر، فهو يدخل هذا المستهزئ إلى دائرة: {**الذين أجرموا** ...}.

(١) ٢٩-٣٢ المطففين.

وهؤلاء المنافقون المتطاولون على رسولنا وعلى المجاهدين من الصحب الكرام، هؤلاء المتطاولون وصفهم قرآن ربي ﴿...بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

إن من استهزأ بعبد مؤمن أو بأية شعيرة من شعائر الإسلام هو من:

- الذين أجرموا.
- القوم المجرمين.

لقد ارتكبوا صريح الكفر بنفاقهم واستهزائهم والله أعلى وأعلم[١].

(١) راجع كتابنا: (الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي ..) ص ١١١، وقبلها.

مادة:

(ع ص ر)

العصر:

ما هو مفهومه؟ طائفة (**مقدار**) من الزمن، جمعتها خصائص، أو (**جمعته**) خصائص مشتركة مميزة، مثل:

- العصر الجاهلي.
- صدر الإسلام.
- العصر العباسي.

كل شيء له صفة مميزة، ومجموعة من الحقائق والخصائص تسميها بالعصر، أيها الإنسان، استقرئ التاريخ والواقع، هل تجد نجاحا إلا لإنسان آمن بعقيدته، ولم يكتف بالإيمان بالعقيدة، بل عاصرها وقارنها بالعمل، هذه العقيدة إن جاءت بلا عمل، فلا قيمة لها: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلا من آمن بعقيدة، أي: لا بد من الإيمان وبعده من حركة، أي: (**الإيمان+ العمل الصالح**) وعمل الصالحات يعرض الصالحين لعدوان أهل الباطل، سيدخلون في معركة، وعندها يأمرها الله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

مادة:

(ع ص ى)

معصية آدم وبنيه، ومعصية الشيطان:

معصية الشيطان معصية ترد الأمر على الآمر (**الخالق**) أي: تمرد في تمرد، أما معصية آدم –وكذا بنوه- فهي اعتراف بالمنهج والآمر، لكن العصيان حصل، لقد حدث بسبب ضعف بشرى، وقصور في تنفيذ الأوامر وهكذا كان آدم، ثم تلقى من ربه كليمات التوبة، فتاب.

فرق بين معصية جاءت من قبل هوى في النفس، وضعف في نفوس البشر، ومعصية أخرى جاءت من وسوسة الشيطان ونفثه وتلبيه، حتى لا تضع الشيطان شماعة في كل أخطائنا، فإن وجد الإنسان نفسه مصرا على معصية لا يتلحلح –لا يتزحزح- عنها، ولا يتلجلج فهي من قبل النفس الأمارة التي ترغب في معصية نبيها تجلب لها لذة، أو منفعة، ومن ناحية أخرى فإن إبليس يبغي لابن آدم المعصية أية معصية سواء أفادت لذة أو شيئا من منفعة، المهم عند الشيطان العصيان العصيان، ولا شيء إلا العصيان، المهم عنده أن يخلخل منهج الله في قلوب البشر إفسادا للعلاقة بين الخالق وبين مخاليقه.

مادة:

(ع ل م)

العالمون:

الله رب العالمين، والرب تشعر بالتربية، وفضائله تفيض عليك، أيها الإنسان.

والمعالمون / العالمين هل تعني الإنسان والجان والملائك، لا يجمع جمع مذكر سالم إلا العاقل، ولكن -يقول الشيخ- خذها بالقياس فإذا كان الله رب الأجناس الأخرى الأدنى وفي فهم أدق من هذا؟ ما فائدة العقل؟ أليس الترجيح بين البدائل لترى الأخيرَ ليؤخذ به، إن الكائنات عدا الإنسان أخذت الأخيرْ لها، وسلمت من كل شيء، لأنها حملت الأمانة دون اختيار لها، فخرجت إلى باب السلامة من أوسع الأبواب.

وهو رب العالمين تطمين للإنسان بأن هذا العالم المسخر له لن يتمرد على ذياك الإنسان، لأن الله رب كل ما في خدمتك المسخر لك أيها الإنسان، ولا رب كل مسخر لبني آدم لا رب لها سوى الله، رب العالمين.

وإذا رأى البشر ما يتصور أن يخرج عن السيطرة (البراكين المحرقة الفيضانات المغرقة -الزلازل المهلكة المدمرة) كما حدث في زلزال جنوب تركيا وشمال سوية هذا الشهر[1] فهذا دليل على أن الله -وحده- هو المسيطر على كل

(١) فبراير ٢٠٢٣.

شيء على كل شيء ولو أشاء لحرم الإنسان من تيك السيطرة، وذياك التسخير، من الألف إلى الياءات، وفي لحيظة أو سويعة واحدة، ولذا قال القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

الغين

مادة:

(غ ض ب)

المغضوب عليهم والضالون: الفارق بين المغضوب عليهم وبين الضالين؟ المغضوب عليهم من عرف الحق، وأعرض عنه وكابر فيه.

فأما (**الضالون**) فالضال من لم يجد من يهديه متخبطا بين السبل عن سبيل الحق، لكن ما ذنبه؟

كان عليه أن يبحث في هذه المسألة فلا يجعل مسألة دينه أتفه المسائل التي لا يهتم بها، كما يهتم بتيك المسائل الدنيوية المعاشية في حين لا يهتم بما يخص الدين والمصير في الآخرة؟

ولذا جاء الضال في المرتبة الثانية بعد المغضوب عليهم، هذا المغضوب عليهم الذي –في المعصية- قبل الضال.

لقد جاء الإسلام إلى العرب فقال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، فهل قالوها؟ كلا لمه ولم ما لماذا ما قالوها؟ لأنهم فهموها فهموا تبعياتها ومطلوباتها، لو كانوا فهموا أنها كلمة تقال باللسان دون التزامات، وتصنع هدنة بينهم وبين محمد لما توانوا في قولها، إنهم أدركوا مفهوم: {**لا إله إلا الله**} ما قالوها لأنها سوف تدخلهم في منطقة تكليفية مثل أناسي آخرين.

إذن: {**... المغضوب عليهم**} عرفوا المنهج الصح، ولكن رغبتهم في السيطرة والطغيان منعهم من اتباع صراط ربك

المستقيم، فأما الضالون فهم الذين تعثروا إلى الطريق الصحيح ولم يبحثوا عنه.

وأضاف الشيخ أن معاني الضالين متعددة، مثل:

١- ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] على لسان نبي الله موسى –عليه الصلاة والسلام- أي لا أعرف أين الحقيقة، أي أنني لم أعرف الحقيقة فضلا عن أن أعدل عنها.

٢- ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] خطاب لسيد الخلق ﷺ –الذي كان يرى سبل الجاهلية وطرائقها- ليس لديه من السماء منهج ولا سبيل، فهداه الله.

٣- ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] تضل= تنسى.

إذن فكلمة الضلال تأتي بمعان/ بمعاني متعددة، أو أن {**المغضوب عليهم**} لم يكتفوا بضلالهم، وإنما حاولوا أن يضلوا غيرهم، الذين يضلون هذا قسم –والذين يضلون- بضم الياء قسم آخر، إذن المغضوب عليهم من ضلوا وأضلوا غيرهم والضالون -أيضا- ضلوا لكنهم لم يضلوا غيرهم.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

الفاء:

مادة:

(ف ع ل)

الفاعل والقابل: القرآن واحد، وهو فاعل ولكن القابل مختلف، انظر الآية **{قل هو}** أي: القرآن ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤].

وفي مكان آخر قال القرآن: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ من مشركي قريش: ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ من اليهود: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ١٦ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٦-١٧].

فالفاعل _آنفًا سابقًا- واحد فقط هو القرآن الكريم، لكن هذا القرآن المبارك يختلف استقباله من قابل إلى قابل آخر، المشركون استقبلوه وتفاعلوا معه بشكل، والمؤمنون تفاعلوا أيضا، ولكن شكل آخر، كما فصل القرآن نفسه فيما سبق من آيات، وفي غيرها.

القاف

مادة:

(ق س م)

قسمة الصلاة بين الخالق والمخاليق: قال تعالى في الحديث القدسي: «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي**» ويعني بالصلاة فاتحة الكتاب إذ هي جوهر الصلاة، مثل: «**الحج عرفة**» فإن الوقوف بعرفة أهم أركان الحج.

قسم الله هو:

- الحمد لله رب العالمين.

- الرحمن الرحيم.

- مالك يوم الدين.

هذه لله الواحد الأحد، وقد بدأها الله بالحمد على أساس أن البسملة كانت ممهدة للعمل الذي يتحقق لذا كان حمدًا لله على تمام العمل وإنجازه، أو فضلا عن إنجازه، ثم:

- إياك نعبد.

- وإياك نستعين.

هاتان بين الله وبين عبده، ففي العبادة هنا عابد، وهنا معبود، وفي الاستعانة مستعين ومستعان به، فالمعبود والمستعان هو الله وحده، والمستعين هو المخلوق، عبد الله الخالق الواحد الأحد، الفرد الصمد.

وأخيرًا ثلاث للعبد:

- اهدنا الصراط المستقيم.
- صراط الذين أنعمت عليهم.
- غير المغضوب عليهم، ولا الضالين[١].

(١) راجع كتابنا: (الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي ...) ص ٦١ وقبلها.

الكاف

مادة:

(ك ر ر)

التكرار المتوهم في القرآن الكريم:

لا شك أنَّ الشيخ –رحمه الله- فسر القرآن على الترتيب المصحفي، ليس على ترتيب النزول، ومن هنا يبدو للبادة شيء من التكرار في الموضوعات والشخوص في كتاب ربي، وهو وهم ووهل؟!

الشيخ رأيه –ورأيه الصواب- أن ذياك الترتيب المصحفي، وكذا تفسير الشيخ، ليس فيهما تكرار أو تكرير، فكل ما في القرآن وفي تفسيره منصب على موضوع معين، في سياق معين، لكن شيخنا يفسر هنا في الفاتحة –أم الكتاب- في الأم والأصل والأساس، فلا تكرار في الكتاب الكريم، ولا في تفسير الشعراوي، ولا فيما تفرعت عنه هذه الأم، وأنا أضيف أن القرآن يقول في كل موضع وسياق ما يناسبه وما لا يوجد في السياق الآخر، حتى تتكامل السياقات المتفرقة لتكون الصور الكلية للرسالة التي يحملها القرآن إلى الأناسي المخاليق، والله تعالى أعلى وأعلم.

مادة:

(ك و ن)

كن فيكون:

وهذه إلماحة عبقرية، بل بالغة العبقرية تفيض بذكاء حاد، كيف كان ذلك؟ حين قال الله الحق: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

يشرح الشيخ مفسرا الآية: انظر في الآية، يقول للشيء: يقول له له وقبل أن يكون قبل أن يوجد وقبل أن تأتي **(فيكون)** قبل الأمر الإلهي إلى ما يخلق؟ فإلى من يقول قبل أن يكون؟ ويجيب الشيخ: هذا المأمور موجود عند الله أمام خالقه، إنما يخرج الشيء ويظهره للناس أمام ناظريهم.

قال الأمير عبد الله بن طاهر سائلا الحسين بن الفضل -المفسر الكبير في القرن الثالث الهجري- فقال:

إن الله يقول: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ فما شأن ربك اليوم؟ وقبل أن نفيض في تفاصيل القضية التي فجرها الشيخ نشير إلى ما يلي:

١- روى الترمذي وصية الرسول لابن عمه العباس، عبد الله: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

وهو ما يشير إلى أن المقادير في الكون قد تم الفراغ من كتابتها ومنها، ليس الآن، ولكن منذ أمد بعيد، لأن الصحف إنما لا تجف أو يجف مدادها الذي به كتبت إلا إذا فرغ من الكتابة، وارتفعت الأقلام عنها مدة ليست بالقصيرة.

وفي صحيح مسلم عن المصطفى: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين سنة**».

٢- وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه- سمعت رسول الله يقول: «إن أول ما خلق الله القلم:

قال الله له -القلم-: اكتب.

القلم: رب، وماذا أكتب؟

الله: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.

أي إن كل ما في الكون قدر وكتب إلى أن تقوم الساعة، هذا فيما يخص المخاليق، وقبل خلق السماوات والأرضين».

والآن نعود إلى سؤال الأمير ابن طاهر(١) للمفسر المبرز ابن الفضل: إذا كان الله في كل يوم له شأنه وشأن، فما شأن

(١) الأمير عبد الله بن طاهر، كان واليا على خراسان في عهد المأمون خلفا لأبيه، توفي ٢٣٠هـ، عن ٤٧ عامًا، وذلك بمرض (الخانوق) أحد أمراض الجهاز

الله ربنا في يومنا هذا، أو كما قال الأمير في سؤله: (ما شغل ربك اليوم؟ بما أن: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صح ما يؤكد ما روي من أحاديث أن الأقلام رفعت والصحف جفت وجف حبرها؟

فقال المفسر الكبير ابن الفضل(1): شئون يبديها ولا يبتديها

ومعنى يبديها يظهرها، لا شئون يبتديها، أي يقدرها، ولا يبتدئ خلقها، لأن التقدير سابق في عمله.

التنفسي والشعب الهوائية، من أعرضه الحمى وصعوبة التنفس، يحتاج المريض به إلى التنفس الصناعي والأكسجين، يأتي في برد الشتاء، والمناطق شديدة البرودة، شيء يشبه هذه الكورونا المعاصرة، أو (كوفيد ٢٠١٩) وربما كان هو هوه، أو أحد متحوراته، كما أنه يأتي نتيجة العدوى الفيروسية، يشبه نزلات البرد أو (الأنفلونزا) وللوقاية من هذا المرض تتبع نفس خطؤات الوقاية من نزلات البرد أهمها غسل الأيدي باستمرار، وعزل المريض، فإنه مرض معد/ معدى، راجع موضع (إسلام ويب)

(١) الحسين بن الفضل الكوفي، ثم النيسابوري، أحد مفسري القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري، إمام عصره في معاني القرآن، فضلا عن أنه كان لغويا ومحدثا، ولد عام ١٨٠هـ، عمرًا طويلًا حتى توفي سنة ٢٨٣هـ، عن عمر ناهز ١٠٣ أعوام، رحمة الله عليه.

وتناول ذيك الموضوح وإيضاحه من جميع نواحيه لمحة من لمحات عبقرية شيخنا الجليل -رحمة الله عليه- أي إن القرآن يقول على لسان ربنا: **{كن فيكون}** كيف يخاطب الله شيئا غير موجود، وقبل أن يوجد؟ لقد فسر الشيخ هذا بأن الله ما خلق هذا الشيء بدءًا بداية أي ما ابتداه ابتداها، إنما فقط أظهرها للمخاليق فقط فقط، ولذا كان استشهاد المشيخة المشيخاء بكلام المفسر العلامة الحسين بن الفضل بهذه العبارة العبقرية الرائعة الرائقة الفائقة ردًا على سؤل ابن طاهر: يبديها **(يظهرها)** ولا يبتديها، أي لا يبدأ خلتها.

هذا شبيه بنتيجة الامتحان التي نظهرها لطلابنا، نحن نعلنها ونظهرها بعد أن كانت، وتم إنجازها، فهي عند الطلاب توجد من عدم في أنظارهم، ولكنها في الحقيقية تمت وانتهى منها، ثم أعلنت لأبنائنا، ولله المثل الأعلى ورسوله في الأولى والآخرة.

اللام:

مادة:

(ل ح ن)

اللحن:

قال عثمان بن عفان –رضي الله عنه-: "إني أجد فيه لحنًا ستقومه العرب بألسنتها" يقصد عثمان عمل اللجنة -برياسة زيد بن ثابت- في كتابة المصاحف، ولا يقصد القرآن نفسه، بل كتابته في مصاحف.

وكانت هذه مناسبة –بكسر السين وفتحها- لشيخنا أن يقدم لنا شرحا شافيا لمفهوم اللحن:

في الأول يسّاءل الشيخ: هل اللحن معناه الخطأ؟ كلا، كلا، هذا جزء من المعنى، أو قل هو من المعنى، أو من المعنى الأصل، وهو ما توكدت منه بعد أن راجعت مادة: **(ل ح ن)** في المعجم العربي، إذا اتضح لنا أن مفهوم اللحن في معاجم عربية بني يعرب يتفرع إلى قسمين رئيسين:

الأول: وهو الأصل يتمحور حول:

١- **لحن القول:** فحواه ومعناه وتلميحاته، قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [محمد: ٣٠] في سقطاته وفحواه، ومن الملفت اللافت أن هذه اللفيظة **(اللحن)** لم تقع في القرآن إلا في هذا الموضع الوحيد فقط.

٢- **لحون العرب**: جاء في الحديث الشريف: (**اقرأوا القرآن بلحون العرب**) لهجاتها، أو (**لغاتها**) وطرائق نطقها، والألحان واللحون مفردهما (**لحن**).

٣- **ألحن الحجة**: جاء في الحديث: (**ولعل أحدكم أن يكون ألحن في حجته مع الآخر**) أفطن وأمهر في حجته من خصمه الآخر، فاللحن -بفتح الحاء- الفطنة والمهابة.

٤- **لحن في قراءته**: من باب (**قطع**) إذا طرب بها وغرد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة، أو غناء.

هذا أبرز معاني اللحن في قسمه الأول، وفي القسم الثاني من معاني اللحن ما يلي:

١- اللحن هو الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، ويقال فلان لحان، ولحانة -التاء للمبالغة- أي يخطئ.

٢- **التلحين التخطئة**:

فاللحن بمعنى الخطأ هو في زاوية ضيقة من زوايا المعنى، وارى أن عثمان -رضي الله عنه- ما قصد أن في نص القرآن شيئا يعاب به بله اللحن، إنما قصد شيئا من الكتابة.

ملحظة أخيرة حول معاني اللحن، تيك الملحظة أن كل معنى من هاتيك المعاني له باب مختلف عن الآخر، هذه

الأبواب متحيزة بين باب (**قطع**) وباب (**طرب**) وهذه الملحظة تضاف إلى عجائب عربية بني يعرب.

الميم:

مادة:

(م ك ك)

المكي والمدني:

يرى الشيخ أن نزول القرآن حدث، بحاجة إلى زمان وإلى مكان ويحتاج أيضا إلى فاعل ومنزل عليه، وهو محمد، والفاعل الله، والسبب هو هداية البشر، ثم الأهم القدرة من جانب الفاعل.

كل الأسباب مواتية لله –سبحانه وتعالى- بقي الزمان والمكان، فما هذا الزمان وذياك المكان، وما موقعه من الإعراب هنا الآن.

إن نظرت إلى الزمان الذي نزل فيه القرآن –أي في فترة مكي- قلت: إنه مكي، وإن نزل في فترة المدينة، قلت: إنه مدني، أي إذا جاء القرآن قبل الهجرة، قلت: إنه مكي، لأن الزمن كان قبل الهجرة، وإن كان بعد الهجرة قلت: إنه مدني.

أي أنك تقول: هو مدني، وإن نزل في مكة، وإن نزل في المدينة مع مراعاة أن هذا الأخير لا يصح –أي أنك إذا جعلت الزمن هو الفيصل الفاصل، فالمكي ما كان قبل الهجرة، والمدني ما جاء بعدها، هذا عن الزمان.

فإن اعتبرت المكان الفيصل الفاصل، فالمكي ما نزل في أم القرى والمدني ما نزل في المدينة المنورة المشرفة، وهكذا.

ويشكو شيخنا من أن بعض الناس يعيبون على العلماء اختلافهم في المكي والمدني، لماذا لا يتفقون؟ ويرد الشيخ: إنما جاء الاختلاف من ناظر إلى الزمان به معتبر وآخر ينظر إلى المكان معتبرا إياه، فالناظر إلى الزمان، المكي عنده ما نزل قبل الهجرة، والمدني -عنده- ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل في مكة.

أي إن من العلماء من اعتبر بالزمان، وآخرون اعتبروا بالمكان وهذا سبب الخلاف فإذا انفكت الجهة، واختلفت زاوية الرؤية والاعتبار، فلا تناقض ألبتة، فلا نتصيد الأخطاء في آراء العلماء رغبة في التشكيك فيها، لا بد أن تفهموا –أيها المشككون- أن الجهة منفكة، وزاوية النظر مختلفة.

وعندما تطرق شيخنا –رحمه الله- إلى مدنية سورة البقرة، بل هي أول ما نزل في المدينة ألمح مشيختنا إلى الطابع المدني الظاهر فيها، وفي نواحيها، وإن لم يختف الطابع المكي تمامًا تمامًا –برغم مدنية السورة-.

ففي الطابع المكي تركيز واضح باده على العقيدة، وليس الأحكام التي تنظم حركة الحياة للمجتمع الإيماني الذي لم يظهر بعد، حيث التركيز التركيز على العقيدة.

فهل الطابع المدني تخلى عن الطابع المكي المتمثل في التركيز على العقيدة؟ كلا، كلا، ولكن القرآن في مكة كان

يجادل وثنيين يعبدون الأصنام، قوم كفار، لا صلة لهم بدين السماء، لكنه في المدينة سوف يجابه جماعة لها صلة بالدين، وهم اليهود، أهل الكتاب، يقولون: عندنا وعندنا، يدلهون على العرب، يتصورون أنهم أرقى من العرب، لهم دين وكتاب ونبي يتبعونه، ولذا فإن القرآن في المدينة كان يجابه فريقين:

- فريق كافر ملحد.

- وآخر كتابي.

خلاصة الأمر جاء الرسول من عداوة جاهلية في مكة إلى عداوة عالمة متعلمة، متحدية في المدينة، ساعتها برز الطابع المدني في القرآن، وذلك بصور متعددة لمجابهة الفريق الكافر، والآخر من اليهود الكتابيين، وإعداد الصحابة لمجابهة الفريقين، إضافة إلى المنافقين هذا النفاق ما ظهر في مكة، لكن ظهر في المدينة: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠١] فما هو السبب لظهور النفاق في المدينة، دون مكة؟

النفاق يأتي عندما تظهر القوة، تنافق، وقد كان المسلمون في مكة ضعافًا، فلا ينافقهم أحد، أو يحابيهم، فالنفاق في المدينة كان مؤشرا على قوة المسلمين.

ولذا وجدنا في سورة البقرة -مثلا- وهي مدنية معالجة أولًا لآدم وقصته، ركزت على اليهود، وعلى إبراهيم، وبناء البيت، ثم بينت شيئًا من الأحكام التي تناسب العهد المدني مثل:

- الخمر.
- الجهاد.
- الدين.
- الربا.

الميم:

مادة:

(م ل ك)

الملك والمالك:

{**مالك يوم الدين**} هذه عمدة المحامد، لأن العاصي لو لم يحاسب في الآخرة لكان جاز على المطيع الذي حرم في الدنيا –أو ربما انحرم في دنياه- في حين استمتع ذياك العاصي في دنياه، هذا ليس من العدل.

إن حركة الحياة في ظل المنهج الصحيح ربما تنفع غيره، ولا تنفع المطيع إلا في أخراه، لكن لا يضيع ذياك الجزاء في الآخرة، لأن الله مالك يوم الدين.

يشير شيخنا في (**ملك**) قراءتان:

- ملك.

- مالك.

وتلاحظون أن القراءتين مرسومة (**ملك**) في القراءتين، وفي (**مالك**) ترسم شرطة مائلة بدل الألف، هذه الشرطة هي الرمز القديم لألف الحد.

وفي قضية الرسم لماذا لا تكون بالألف، هكذا (**مالك**) في قراءة من قرأها هكذا، وفي مصاحف بلده كوفيا كان أو بصريا ... إلخ، وفي المصاحف الأخرى، وفي القراءات الأخر (**ملك**) بدون ألف –كما ترى- حسب قراءتها، ما هو المانع يا

رحمك الرحمن الرحيم، مع احترامنا الموقر له أي الشيخ بأن الرسم الواحد خدم القراءتين معًا، من قرأ (**ملك**) ومن قرأها (**مالك**) فالملك له سلطان على ما يملك أو من يملك فقط، ولا سلطان له على غيرهما، فكل من يملك هو (**مالك**) أما الملك فكل من له تصرف على المالكين، فكل ملك هو مالك، في حين إن كل مالك هو (**ملك**) والملك أعلى من المالك، الذي له الولاية على ما ومن يملك فقط، في حين تجد الملك له سلطان على المالكين فقط.

ولكن هذا الملك تنحصر ولايته على المالكين –أو الناس المخالفين لسلطته أو القانون، أما غير المخالفين- المطيعين فلا سلطان له عليهم، ولا اهتمام منهم به، ولا شغل عندما لا يخالفون.

ومن ثم فإن من رأى من العلماء أن الملك يدخل في حوزته مالكين رأى أن (**ملك**) أبلغ من (**مالك**) والذي رأى أن (**مالك**) لا يتصرف في مال غيره، رأى الكليمة بألف المد أبلغ.

لكن الملك في ظاهر الأمر يتصرف أيضا في المالكين، إذن (**ملك**) أبلغ، ولذا يقول الله: تركت كلمة ملك لخلقي، فهذا ملك وهذا ملك، وذاك ملك ومالك هذا في دنيا الناس، أو في دنيا الأسباب، أما في الآخرة فلا ملك ولا مالك من المخاليق، في يوم الدين: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ

لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] ولكن الأمر -سيدي- في كل وقت لله!! وهذا صح صحيح وحق حقيق، ولكن الله أعطى شيئا من عنده في الدنيا -إذا شاء- دون الآخرة، فلا شيء فيها إلا بأمر الله فقط فقط.

إذن الله يطمئنا على أنه إذا ابتليت بمالك، أو ملك يطغى عليك بحكم الأسباب والمسببات في الدنيا؛ لأنه يملك لك شيئا، لكن ما يسعدك في الآخرة أنه وحده وحده هو ملك يوم الدين، ومالك يوم الدين، ذاك وقت تخرج فيه من طغيان البشر، أو من طغيان من لا يأتمر بمنهج الله إلى عدل الله وحده في الآخرة ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

النون:

مادة:

(ن ع م)

الإنعام والتكليف:

يبدأ هذا الإنعام بسؤال شيخنا هل يمكن إحصاء نعم الله ونعائمه؟ كلا، كلا، فالله تعالى قال: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١٨]، وفي سورة سيدنا إبراهيم، الآية ٣٤: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾

ويضيف الشيخ: ترى الآيتين في جزئها الأول واحد، وهو: {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...} في حين نجد الجزء الثاني في الآيتين مختلف:

- **في الأولى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

- **وفي الثانية:** ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾

في الآية الأولى نرى تجليات الرحمة من الله، وفي الثانية أشار الخاتمة على جبروت العاصي: **{لظلوم كفار}** يفوز بنعائم الله ثم يستخدمها في معصية واهب النعم، وقد جاء هذا مناسبا لسياق الآية الثانية الذي جاء قبلها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ

ٱلۡقَرَارُ﴾ ولكن لماذا وصف الله في نهاية سورة النحل بأنه غفور رحيم، ويفصل الشيخ بأن عملية الإنعام تقتضي ثلاثة أشياء:

- منعم.
- ومنعم عليه.
- ونعمة.

ويلاحظ أن القرآن في: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ في الآيتين استخدم أداة الشرط **(إن)** وليس **(إذا)**؟ فما السبب؟ إن الأولى **(إن)** تفيد الشك في إمكانية إحصاء أو عد فضلا عن الإحاطة بنعم الله.

ومن ناحية أخرى فإن دوام النعم على البشر والمخاليق دليل على أن المنعم على البشر والمخاليق غفور رحيم برغم عصيان الإنسان برغم كثرة هاتيك النعم.

ولكن هذه التكاليف التي أوجبها الخالق هي أيضا من نعائم الله الكبرى على الإنسان فلولا هاتيك التكاليف الإلهية لكانت الحياة فوضى وسبهللة، ولفعل كل إنسان ما يحلو له، مهما أضر بغيره، وأفشى الفساد في الأرض:

- قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ ثم: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ لأن المنهج الهادي المتمثل في القرآن الهادي للرشاد مقدم على خلق المخلوق وتعليم البيان.

- وقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِى خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ فإن الإنسان وحده يضيع ويتوه، ولا يعرف الطريق المستقيم إلا إذا اهتدى بالمنهج الإلهي والإيمان به، فالتكاليف -التكاليف- حين العطاء وأسه وأساسه ولا فض فوكا، ولا فض الله فاكا –يا شيخنا الجليل- وفي كل زمان ومكان، وآن وأوان.

الهاء:

مادة:

(هـ ب ب)

هبات صفائية:

وليست تفسيرا للقرآن الكريم، فالشيخ مصر في مشيخته على أن كل ما قدمه حول القرآن ليس تفسيرًا، إنما هي خواطر، وهبات صفائية حول هذه الآية أو تلك من قرآن ربي، كيف كان هذا؟

إنها هبات صفائية على قلب المؤمن، هي ليست تفسيرًا فإن أولى الناس بتفسير القرآن هو رسول الله -ﷺ- الذي فسر لصحبه -رضي الله عنهم- بين لهم على قدر حاجتهم في البيان، وعلى قدراتهم على الفهم، فبين الأحكام التكليفية التي يثاب المرء إن فعلها، ويعاقب إن تركها، أو أهملها.

أما ما تعلق بكونيات الوجود، وأسرار القرآن حول ذياك الوجود، فقد اكتفى الرسول بما علم هو نفسه فيما وجد فيه استشرافا للفهم والفقه، لكنه لم يشع ذلك، ولم يعممه على الناس.

وفي مكان آخر يعبر عما سبق وإن أضاف أشياء أخر:

- فسر الرسول بما يفهمه كل الناس وصولا إلى ما كلف به المخاليق من البشر في عصر محمد وما بعده، ولا يختلف فيه فرد عن آخر في أي عصر من الأعصر.

- وأما إعطاءات الأسرار في كليات القرآن وحقائق الكون فقد ترك الله ميلادها في القرآن حتى تجيء مواليدها ومواعيدها في الكون على مر التاريخ.

وبرغم إصرار الشيخ على أن ما قدم إن هي إلا خواطر، هبات صفائية هنا وهنالك فإني على يقين بأنها تفسير أمام جمهور الشيخ ومريديه، بالصوت وبالصورة خالد خالد مسجل على مر العصور والدهور، ذي قيمة متنامية ثرة وثرية هذا التفسير هو من عطاءات الأسرار من كليات القرآن وحقائق الكون جاء ميلادها ثمرة شهية من ثمار عبقرية شيخنا المبجل الجليل، تفاخربها مصرنا إلى أن يرث الله الدنيا ومن حوتها وما تحتويه، كما تفخر بما لا يحصى من المفاخر البارزة المبرزة.

ولو كان سيدي رسول الله فسر القرآن لقدس الناس تفسيره، ولم يجسر أحد على الاقتراب منه، أو المساس به من بعيد أو قريب، فإذا قلنا كل نواحي الإعجاز وجوانية في قرن واحد أو جيل واحد، ثم جاء جيل آخر، أيبقى له شيء من إعجاز، إذن لا بد يستمر إعجاز القرآن إلى يوم الدين بوصفه حجة على صدق الرسول الأعظم، ولذا قال القرآن: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي القرآن حق وصدق، ومن الجدير ذكره أن كلمة **(الآفاق)** ما وردت إلا في هذا الموضع من سورة فصلت.

وأن الناس لو استسلمت لتفسير واحد، ولو كان تفسير سيد الخلق نفسه لتوقف التفسير عند هذا الحد، ولما كان لكل جيل أو لأي شيء يقوله في ظلال القرآن حتى ولو في إطار تفسير، وانظر -مثلا- إلى موضوع الحج، لم كان في بيئة ومناخ مرتفع الحرارة شديد الدفء؟ لأنه لو كان في بيئة باردة لاحتاج الحجاج والمعتمرون وإلى أثقال من الأغطية والملابس الثقيلة.

وانظر إلى شعائر العمرة والحج إنها على مدار الساعة، حتى تكون هذه الشعائر ليل نهار كي يكون الزوار هم حرس على البشر والحجر والممتلكات، وهكذا يبقى القرآن جديدًا، لا يخلق على كثر الرد، ويستمر جديده في كل الأجيال.

كيف هذا، وما تفصيله كي يفهم؟ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿...وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ...﴾ [١٩٦].

فهل دارت تيك الخواطر على أذهان الزوار والعمار والحجاج قبلا، أو غيرهن من الخواطر، والتساؤلات قبل، مثل:

- الحلق عند تمام الهدي، وتمام الحج والاعتمار.

- ذكر القرآن في الآية الحلق فقط، دور إشارة إلى المقصرين.

- دعاء محمد للحالقين ثلاث مرات، وللمقصرين مرة واحدة فقط؟

- لماذا أوجب في الاعتمار والحج كشف الرأس وعدم تغطيتها؛ بل حظر غطاء الرأس للرجال؟

- لماذا كانت شعائر الحج والعمرة في بيئة حارة، وعلى مدار الساعة؟

هذه خواطر تجيب عن هذه التساؤلات كما يلي:

١- لماذا كانت شعائر العمرة والحج في منطقة حارة دافئة، وغير باردة؟ في وهلي وتصوري لأن البيئة الحارة تحتاج إلى ملابس خفيفة وأغطية أخف على عكس البيئة الباردة التي تحتاج إلى حمل الثقيل من الملابس وأغطية خاصة عند النوم ثقيلة، تشكل عبئا على المسافر إلى الأماكن المقدسة.

٢- ولما كانت شعائر العمرة والحج عدا الوقوف بعرفة، والمرور على المزدلفة، كل هاتيك الشعائر تكون على مدار اليوم والليلة، وذاك أن هذا بمثابة حرس دائم ليل نهار على أماكن الشعائر نفسها، وكذا على نفوس من يعتمرون أو يحجون، وذاك من أجل الحراسة من الحرائق سيما عند النوم

والحوادث ... إلخ. باب الكعبة من الذهب الخالص، فمن يحرسه الطائفون؟ والركع السجود وذاك في الليل والنهار.

٢- لماذا أوجب الله كشف الرأس للرجال؟

لأنَّ الرجال غالبا ما يغطون رءوسهم ولفترات طويلات حتى في المناطق الحارة في إفريقية مثلا الطاقية الإفريقية، وفي جنوب شرق آسيا، وحتى في الخليج -برغم حرارته- غطاء للرأس خاصة في الشتاء، بل يميل عدد من الرجال إلى العمامة، ففي الروايات:

- العمائم تيجان الملائكة.

- العمائم تيجان العرب.

وفي المناطق الباردة -كما رأيت في أكرانيا مثلا- لا بد من غطاء للرأس رجالا ونساء طوال الشتاء الطويلة الذي ربما يمتد إلى ثمانية أشهر.

وجلد الإنسان ومنه إهاب الرأس بحاجة إلى التهوية والكشف في مثل ما سبق من البلدان الباردة على السواء، وإلا احتاج الجلد إلى الحك دفعًا ومقاومة لشدة الحساسية.

ولو أن كل الحجاج والمعتمرين والزوار، هذه الملايين في هذه البيئة الحارة قد وضعوا أغطية على الرءوس لكانت

هذه الأغطية وسيلة للعدوى، وعبئا زائدا على المسافر، على أغراضه التي يحملها معه.

ولذا حبذ الرسول الحلق للرجال –لا التقصير- فقد دعا للمحلقين ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة فقط، ولذا فإننا بدانا فترة التجنيد بالحلاقة صفر (**زيرو**) منعًا لانتقال العدوى بين الجنود، ومن ثم كان هذا مبررًا كافيا لذكر المحلقين فقط –دون المقصرين- في قرآن ربي، هذا ما بدا لي وبدهـ منذ سنوات –ليس قبلها- من خواطر في أمري الحج والعمرة، ومن معاني ما سبق من سورة البقرة، مع أني حفظت القرآن في الطفولة، قرأت فيه كثيرًا، واستمعت إليه أكثر، وذهبت إلى العمرة عديد المرات، وأديت فريضة الحج، لكني ما فكرت فيما سبق، ولا جاء على خاطري منه شيء ولله الأمر من قبل ومن بعد، فله الحمد والمنة والشكران والامتنان ورحم الله شيخنا الجليل.

مادة:

(هـ د ى)

الهداية:

أي إلى الصراط المستقيم، فالهداية هي الدلالة بلطف، لإن إطلاق الهداية معناه أن هناك ضالا يراد هدايته، فلا يوجه بقسوة، لماذا؟

لأنك بهدايته ستخرجه عما ألف واقتنع، فلا تجمع عليه صعوبتان، صعوبة الخروج عما عليه ألف، ثم بطريقة رديئة خشنة وسيئة، تسيء إليه وتجرحه وتحرجه، على العكس إنك بحاجة إلى التودد إليه تتألفه ومن اللباقة في هذه الحياة أنا عندما نعطي المريض الدواء المر نغلفه في (**برشام**) لأنا لا نريد أن نجمع على المريض مرارة المرض ومرارة الدواء.

مرة أخرى (**اهدنا ...**) الدلالة بلطف، لا بقسوة: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ومن ألطف من الله ليهدي بلطف؟!

والهداية إلى الطريق المستقيم= كلام مطلوبه ومقتضاه نظري تكليفي، كيف؟ يبين لنا الله أن ذياك الطريق المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم، فينقل الكلام من نظري إلى الواقع، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فمن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟ يسميهم لنا ربنا:

- من الأنبياء.
- والصديقين.
- والشهداء.
- والصالحين.

فما هو مفهوم الطريق المستقيم؟

معنى الصراط الطريق، هذا الطريق موصل إلى غاية، ومستقيم، أي لا يوجد أقصر منه، إنك تعد للغاية والهدف أولًا، ثم تبحث عن الطريق المستقيم، الغاية هنا حددها الله، والطريق أيضا حدده الله، وكلاهما الغاية والطريق هما هندسة عليا، رب المخاليق هو من حددها، وما يشرعه الله لنا هو الطريق المستقيم[1].

(١) راجع ص ١٢٢-١٢٣ من كتابنا: (الجوانب اللغوية ...).

الواو:

مادة:

(و ج هـ)

الجهات ست: ليست أربعًا، فقد جاء القرآن ليحكي تبجح إبليس أمام ربه:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]

يقول الشيخ: إن الجهات =٦، ليست= ٤، هي = (أمام + خلف + يمين+ شمال) بقي إذن = فوق + تحت، لماذا؟

لأن كل إفساد يأتي من ادعاء التقدمية= أمام، أو ما يسمى بالرجعية= خلف، ثم اليمينية (**اليمن**) واليسارية= اليسار، أو الشمال بقي إذن: (**الفوقية+ التحتية**) لا يأتي من أيهما شيطان، بل الفوقية إلى الله، والتحتية عبادة البشر لله، وهذه العبودية والانقياد إلى العلوية تطرد عنا الشيطان وتبعده.

ولذا جاءت رسالة الخاتم إلى العرب الأميين، يعيشون على فطرة الأم، والمرسل الخاتم نفسه أمي ما وصم بيسارية ولا يمينية، أو تقدمية، أو رجعية، ولكن عبودية تحتية إلى القوة الفوقية العلوية.

مادة:

(و ح ي)

الوحي:

إعلام بخفاء، قال مشيختنا شارحًا: كما إذا جاءك **(ضيفين)** ضيف لم يدع –وهو ثقيل- فأشرت إلى الخادم أو الحاجب بأنك لا ترغب في لقائه –خاصة من طرف خفي، هذا إعلام بخفاء، وهو ما يسمى بالوغى.

الله يوحي إلى الرسل، وإلى الملائكة، ويوحي إلى النحل، ويوحي لأنبيائه، ولغير أنبيائه –أم موسى مثلا- الشياطين يوحي بعضهم إلى بعض غرورًا، ويوحي هؤلاء الشياطين إلى أوليائهم، فالوحي عندما يطلق بعموم فإنما يطلق من الله لرسوله، هذا الوحي الاصطلاحي، والآخر من غير الله هو وحي لغوي –غير اصطلاحي- أما وحي الله فيأتي بطرق ثلاث:

- **الوحي**: (إعلام بخفاء وعلامته التسليم المطلق لكل ملكات النفس دون معارضة).

- أو من وراء حجاب كما كلم الله موسى.

- أو يرسل رسولًا كما أرسل جبرائيل مثلا.

القرآن خاصة جاء من طريق جبرائيل، لا إلهام ولا كلام من وراء الحجب، إنما جاء من طريق أمين الوحي ورسول

الحق، ويتساءل الشيخ: كيف يعرف الوحي من الله عن الخواطر التي ترد على البشر؟ يعرف الوحي بالاستسلام التام للوحي، كما حدث لأم موسى التي أوحى الله إليها إذا خافت على ابنها أن تلقيه في النيل (**اليم**) فإن فعلت كان على اليم أن يلقيه بالساحل طبقا لأوامر عليا من الله: ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [سورة طه، آية ٣٧ وبعدها].

كل أعمال التكليف صدرت وحيا أو من وراء حجاب، أو بإرسال رسول، لكن القرآن خاصة جاء مع رسول هو جبرائيل، هذه خاصية للقرآن خاصة، فهذا الملك ما أتى سرًا أو خلسة، بل مع جلبة وجلجلة وجرس لا يخفى على الصحب المصاحبين لمحمد.

وعندما كان يسري عن رسول الله يخبر صحبه عما نزل عليه، وأين يوضع في كتاب الله، وبعد تسجيل ما نزل، يقرأ الرسول ذياك الوحي مرة أخرى في الصلاة والنص واحد وحد في كليهما، ما أملاه سيد الخلق، وما قرأه في الصلوات، إنه هو، إنه هو هوه، فهل يسطيع أي مملي / مملٍ أن يكرر ما أملا، دون تغيير أو شيء من تحريف؟ اللهم لا، اللهم لا.

وانظر –أيها القارئ- وتفكر مليا في أول لقاء مع أمين الوحي جبرائيل في غار حراء[1] عندما كان يتعبد محمد:

- **جبرائيل**: اقرأ.

- محمد: ما أنا بقارئ فأخذني فضمني وعصرني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال:

- اقرأ.

- ما أنا بقارئ، فأخذني فضمني وعصرني الثالثة فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[2] السورة.

لماذا كل هذه الحوارات والجلبة؟

ليعلم هذا الرسول القادم من السماء إلى رسول هذه الأمة، ولذا فإن هذا المشهد وتلك اللوحة عندما نقلت إلى سيدي ورقة بن نوفل عرف الجائي والمجاء إليه، فقال لمحمد: لقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى.

---

(١) بعد أربعين سنة من عام الفيل ليلة السابع عشر من رمضان.

(٢) راجع: الوجيز في تفسير القرآن للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ٢٠١٠، ط٣، ص١٠٢٧.

(و ص ف)

صفات الله وصفات البشر:

صفات البشر هي صفات الإنسان في بشريته، فهناك إنسان.

- عالم وفهام وفهامة.

- آكل وأكال وأكالة.

فالكليمات الأولى تعني الإنسان يأكل ويفهم ويعلم، فإن زادت الأمور، وبولغ فيها وصلنا إلى صيغة المبالغة، فإن زيد في المبالغة، وبولغ فيها جيء بتاء المبالغة وصلنا إلى: (علامة- فهامة- أكالة ...) إلخ.

والمبالغة قد تكون مركزة في شيء ما، في فرع ما، في تخصص ما، فهذا رجل علامة في الطب أو علم اللغة، في الفيزياء ... إلخ، وقد يكون علامة في تخصصات شتى متعددة، أو مختلفة، والمثال الذي ضربه الشيخ:/ هذا رجل آكل، يأكل ولكن الآخر الموسوم بأنه أكول، في الوجبة الواحدة يأكل كميات في كميات، أو أنه يأكل وجبات عديدة كثيرة على مدى اليوم والليلة.

هذا عند البشر، أما عند بارئ البشر فالأمر جد مختلف ومفترق، فإذا وصف الخالق بالرحمة دون استخدام صيغ

المبالغة، أو مع صيغة المبالغة ـأيا كانت- رحمن أو رحيم، فالأمر واحد، والمعنى واحد، كيف؟

يوضح الشيخ: إذا وصف الإنسان بأنه أكول، فهذا لا ينفي أنه آكل أو يمكن أن يكون آكلًا.

فإذا قال ربنا: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

- نسب الظلم لله بصيغة المبالغة لا تعني أن صيغة اسم الفاعل (**ظالم**) هي أقل معنى من صيغة المبالغة بمعنى أن الله ليس بظلام، وإنما يمكن أن يكون ظالما؟ كلا، فلله المثل الأعلى، فإن مفهوم الصفة الإلهية مختلف عن مفهوم ذات الصفة عند المخاليق.

ويفسر الشيخ بأن الله ليس ظلامًا للعباد ـأو للعبيد- ليس نفيًا لظلم أحد من المخاليق فقط، بل لأن قدرة الله جارية على الجان وعلى الإنسان، وعلى الملائك، وعلى كل المخلوقات في الدنيا، دائرة متسعة من المخلوقات التي يمكن أن يطالها ظلم ـمعاذ الله- ومن ثم فإن اتساع هذه الدائرة لكل المخلوقات هو ما برر استعمال صيغة المبالغة (**ظلام**) كي يناسب اتساع الأمر

للناس والمخلوقات جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتقوم الساعة التي علمها عند ربي، فالله هو القائل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ﴾ [النساء: ٤٠]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

فإن قدرة الله تختلف عن قدرة مخاليقه التي تزيد وتنقص، بل في النهاية تنتهي، هي أو حتى صاحبها، لكن قدرة خالق المخاليق ما تزيد وما تنقص، إنها ثابتة مستقرة، قديمة وأبدية، سواء عبر القرآن بصيغة مبالغة، أو باسم فاعل، أو صفة مشبهة، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم حرامًا، فلا تظالموا».

لقد حرم الله الظلم على نفسه ـأية ظلمةـ أي ظلم مهما قل أو صغر، أو قل قدره، وتظالموا أي ظلم بعضهم بعضًا، مهما قل وصغر.

ويرى الشيخ أن الله مرة يكون راحمًا ومرة يكون رحيمًا، وثالثة هو رحمن، والفرق يكون فيمن رحمهم الله، ففي الدنيا تتسع رحمته الكافر والمؤمن، وفي الآخرة يرحم الله

المؤمنين، فصفات الله واحدة، لا تزيد عنده ولا تنقص، وإنما من تقع عليهم الصفة فإن كميتها تتغير، وتتبدل حسب أحوالهم.

ما سبق هو المقارنة بين صفات الخالق وصفات البشر المخلوقين، فما صفات المؤمنين خاصة، وما صفات عباد الرحمن؟

تكلفت سورة المؤمنون في الآيات التسع في هاتيك السورة:

- الخشوع في الصلاة.
- إعراض عن اللغو.
- الزكاة.
- الحفاظ على الفرج.
- رعاية الأمانات والعهود.
- المحافظة على الصلوات.

فما جزاؤهم عند ربهم؟

﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١].

فما صفات عباد الرحمن؟: تعددها الآيات نهاية سورة الفرقان:

- يمشون على الأرض هونًا.
- يبيتون لربهم سجدا وقياما.
- يقولون: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم...
- إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما.
- لا يدعون مع الله إلها آخر.
- ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق.
- ولا يزنون.
- لا يشهدون الزور.
- وإذا مروا باللغو مروا كرامًا.
- إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا.
- يقولون: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين.
- واجعلنا للمتقين إماما.

فما جزاء هؤلاء العباد:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ راجع الآيات الأخيرة من سورة الفرقان.

هذا عن صفات المؤمنين، وصفات عباد الرحمن، لكن الشيخ يشير إلى حقيقة مهمة بالغة الأهمية:

كل خبر يصف الإنسان تجده من باب الفساد والخسران إلا أن يجيء الاستثناء بالصلاة والإيمان والعمل الصالح:

١- ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]، الصلاة منجاة من الهلع والجزع والمنَ+ع والفزع.

٢- ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة التين].

فالإيمان والعمل الصالح منجاة من أسفل السافلين، وعودة محمود من أسفل السافلين إلى أحسن تقويم.

(و ص ي)

التواصي:

أن تكون الوصية من كل واحد لغيره، أن توصيني وأنا أوصيك؟ لماذا؟ لأن النفس البشرية أمام التكاليف المختلفة قد تضعف، فأنا قد أضعف في شيء، وأنت أيضا في شيء قد تضعف،فليس عندى أسباب ومبررات ضعفك وأنت ليس عندك أسباب ضعفي، فأنا أوصيك في جوانب ضعفك، وأنت توصيني في جوانب ضعفي، وهكذا أنت، فأنت **(موصَّى)** بفتح الصاد و **(موصِّي)** بكسر الصاد.

(و ق ي)

التقي والأتقى:

يتساءل الشيخ: من يحقق المراد من عبودية الله؟ إنهم المؤمنون به، ولكن هل هؤلاء المؤمنون سواء في الاتباع؟ كلا، هم متفاوتون، ولذا قال الله: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

إذن هناك –عند الله- كريم، لكن ليس **(أكرم)** هذا الأكرم هو من زاد في التقوى، ولذا لم يقل الله: أكرمكم عند الله التقي، لكن القرآن قال: **{أتقاكم}**، أمامنا تفاوت لدى المؤمنين في التقى والطاعة والعبادة.

فالأتقى أعلى منزلة عند الله، وأكرمهم عليه، ولكن الأكثر علوًا وتقى هم الأنبياء –وهم معصومون- وغيرهم غير معصوم، يمكن أن يخطئ.

وقمة التقى لدى الأنبياء محمد –ﷺ- الذي حقق قمة العبودية والعبادية لله ولذا كان خير خلق الله، سيد الأولين والآخرين، سيد الجان وسيد الإنسان، لأنه يمثل قمة العبادية لله، ومن ثم كان معنى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هي مرادة لله محبة إلى الله، ومحببة إليه، والذي يمثلها **(تقي)** و**(أتقى)** كريم وأكرم، ثم ترتقي لدرجة الأنبياء،

ومنها إلى درجة سيد الخلق، إذن فالعلة من الخلق وقمته هو محمد -ﷺ- لأنه حقق العبادية الكاملة المرجوة لله.

الياء:

مادة

(ي و م)

اليوم:

الله ملك أو مالك يوم الدين، فما معنى لفظة (**يوم**)؟

إنه –أو إن هذا اليوم- يبدأ من وقت إلى مثله من قابل، يعني من شروق الشمس إلى شروق الشمس -مثلا- أو من غروب الشمس إلى الغروب الذي يليه، فتشمل ليلا ونهارًا، يوم فلكي، أو يوم جغرافي، فأما اليوم في التشريع، فإنه يمكن قول الآتي:

- يوم ظرف زمان.
- كل حدث له ظرف مكان وظرف زمان يقع فيهما.
- من الممكن أن يملك المكان، ولكن الزمان لا يملك.

ولذا قال المفسرون: مالك يوم الدين، أي مالك أمور يوم الدين، أو مالك الأمور في يوم الدين.

فإذا كان ظرف الزمان لا يملك فإن هذا عند البشر والمخاليق، أما عند الله فإنه يملكه، لأنه هو الذي يملك (**إطلاقه**) ومنه يوم الدين، قال تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ٨٧]، وربك وحده هو المالك للزمان والمكان في يوم الدين فإذا كان المكان لا يملك في مقاييس البشر، وهو أمر مقرر مؤكد حتى في الدنيا، إلا أن الله قد أعطى البشر –أو بعض

البشر- بعض الأسباب واستخلفهم في بعض الأشياء، فهو القائل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾(1) [الحديد: ٧] أي مجرد استخلاف وتوكيل.

فهل يطلق اليوم -في الآية- على:

- الـ٢٤ ساعة.

- أو على مقابل الليل.

في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾ [الحاقة: ٧].

إذن اليوم هنا معناه النهار، هل ستقوم القيامة بالنهار أو بالليل؟ نحن لا نعرف -يعترف الشيخ- ولكن الله سماه **(يوم القيامة)** أي هو **(يوم)** أي في النهار؟ لأن فيه استيقاظ الحركة، والناس قبل القيامة تشملهم غيبوبة الموت، وعندما يأتي يوم القيامة كأنه استيقاظ من الموت -أو من النوم- ولأننا يوم القيامة -أو في يوم القيامة- نتعرض الأحوال ومعاناة، ولا يكون محلها إلا النهار.

---

(١) ولم تأت {مستخلفين} إلا في هذه الآية.

ومن ناحية أخرى فإن اليوم، مفهومه ومعناه مختلفان ما بين تصور الناس في الدنيا وما بين عند الله، كيف؟:

- فاليوم الفلكي في دنا البشر دورة الشمس حول نفسها.

- لكن هذا اليوم عند الله هو أيام لا تحصى، في رجا من أرجاء العالم في أرض الله الواسعة.

- وفي القرآن: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}[١] [المعارج: ٤]

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الأستاذ الدكتور:

أحمد مصطفى أبو الخير

١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م

(١) راجع ص ٨٥ وقبلها من كتابنا: (الجوانب اللغوية في تفسير الشعراوي ...) القاهرة ٢٠٢٢م.

الخاتمة

الخاتمة

وفي خاتمة الكتاب الثاني عن تفسير الشعراوي المذاع وبحضور مستمعيه، أو بعض مستمعيه، لأنه نشر بعد ذلك بالصوت وبالصورة على الشبكة فأتيح لملايين الناس، كما أذيع -ولا يزال يذاع- على قنوات فضائية عديدة، وعلى إذاعات متعددة، منها إذاعة القرآن الكريم بقاهرة المعز لدين الله الفاطمي.

إن المفاهيم اللغوية في تفسير شيخنا لتدخل من أوسع الأبواب إلى التراث المعجمي العربي العملاق المتميز، وإن ما قدم الشيخ في كتابنا هذا، يتميز عن غيره من معاجم العربية بما يلي:

- إنه تفسير منطوق، وإن اقتصرنا في كتابنا هذا على مقدمة التفسير+ تفسير الفاتحة فقط، على أمل أن يمتد العمل إلى نهاية التفسير.

- إنه ما قدمه شيخنا في الإطار المعجمي ليختلف عما سبق من معاجم في أنه جاء من واقع النص والتفسير، وليس اعتمادًا على معجم أسبق منه.

هذه الشكوى التي قدمها بعض الباحثين -د. رمضان عبد التواب مثلًا- الذي ذهب إلى أن المادة المعجمية كتبها المؤلفون الأوائل، ثم تناقلها اللاحق عن السابق، دون الرجوع إلى واقع اللغة.

- لا شك أن شيخنا قد اعتمد على معاجم العربية في شرح ما شرح من مفاهيم لغوية، ولكن كانت له إضافات ولمحات عبقرية متميزة، وانظر في كتابنا هذا ستجد مصادقا واضحا لما نسوق هنا.

الأستاذ الدكتور:

أحمد مصطفى أبوالخير

خادم اللغة العربية

٢٠٢٣/٣/٢٤م

الفهرس

فهرس المحتويات